

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

المسلمون في جمهورية الشاشان

وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي

د. السيد محمد يونس

السنة الثالثة عشرة
شوال ١٤١٥هـ - العدد ١٥٤

المسلمون في جمهورية الشاشان
وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

تكالب أعداء الاسلام على الأمة الإسلامية، فوجهوا إليها سهامهم في كل مكان، وما أن تفيق من جُرح، بادروها بآخر أشد وأنكى، حتى لا تفيق، وتبقى مثخنة بالجراح.

ففي كشمير جُراح المسلمين ينزف، وفي الفلبين، وفي فلسطين، وفي الصومال، وفي البوسنة والهرسك، وفي الشاشان... وفي مناطق كثيرة من الإسلام، يُعاني المسلمون من عداء المجتمع الدولي لهم...

وباعتداء روسيا على الشعب المسلم، الآمن، المسالم، في جمهورية الشاشان الإسلامية والصمود البطولى لهذا الشعب ضد أكبر قوة للبغي والوحشية أصبح مضرب المثل والغريب ان روسيا تقترف هذه الجرائم أمام الغرب المتحضر وأمريكا شرطي العالم دون وازع من ضمير.

فالقضية عندما تكون خاصة بالمسلمين، فالكل يُدير لها ظهره، وكأن الأمر لا يعنيه في كثير ولا قليل. وعندما تكون لغير المسلمين، يتحرك العالم على قدم وساق، ويجد في إيجاد الحلول.

وبدأ كثيرمن المسلمين يتساءلون: متى وكيف انتشر الإسلام في بلاد الشاشان؟، وفي أى عهد من العهود؟، ومدى تقبل أهل البلاد للإسلام؟، وما الديانة التي كانوا يدينون بها من قبل؟، وما دور الإسلام وحضارته هناك؟، ومتى بدأ احتلال روسيا لبلادهم؟، وما

سياسة الروس في حكم البلاد في العصرين: القيصري، والبلشفي؟، وما دور الكفاح العظيم، الذي قام به الشعب الشاشاني، بقيادة علمائه، في مقاومة المحتل، والدفاع عن الدين والوطن؟.

ومتى تم استقلالهم عن روسيا؟. ولماذا قامت بالتدخل في شؤونهم، وغز و بلادهم بعد ثلاث سنوات من إعلان الاستقلال؟... إلى غير ذلك من الأسئلة، والاستفسارات، التي دارت في أذهان معظم الناس...

فدفعني ذلك إلى الكتابة عن جمهورية الشاشان، ومحاولة الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، بقدر المستطاع والطاقة، و﴿**لايكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾[1].

وغُصت في أغوار التاريخ، وألقيت الضوء على تاريخ بلاد الشاشان، ومنطقة القوقاز قديماً، ووضحت لماذا كانت هذه المنطقة ميداناً للتنافس بين الأمم والحكومات الناشئة قديماً، كل منهما تريد أن تسيطر عليها، لثروتها، ولموقعها بين آسيا وأوروبا، وهي المنفذ الوحيد لقارة أوربا، فكل الجماعات والدول التي دخلت أوربا، دخلتها عن طريق منطقة القوقاز، وتسيطر هذه المنطقة على طريق التجارة بين القارتين: (آسيًا وأوروبا). وهذا الطريق يمر ببلاد الشاشان، ويعرف بطريق الشاش، أو طريق الحرير.

ولما ظهر الإسلام، وأشرقت أنواره على العالم شرقاً وغرباً،

---

(١) من آية ٢٥٦/ البقرة.

انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح البلدان، ونشر الدعوة الإسلامية، ففي عهد الخليفة «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه- (١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م). وفي سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م تقدمت الجيوش، وفتحوا «أذربيجان»، الواقعة جنوب شرق بلاد القوقاز. فلما انتهوا من ترتيب أمورها، وتنظيم أحوالها، توجهوا إلى ماورائها من بلاد، فكانت بلاد الشاشان، التي استقبل أهلها الفتح الإسلامي لبلادهم، بالرضى والقبول، حيث كانوا يعانون من سيطرة الحكم البيزنطي، الذي استعبدهم، وأكل خيراتهم، ونهب ثرواتهم، وأثقل كواهلهم بالضرائب المجحفة المتعددة، بالإضافة إلى ما كان رجال الكنيسة الأرثوذكسية يصبونه من عذاب عليهم، نتيجة اعتناقهم مذهباً مغايراً لمذهب الكنيسة...

فضاق الشعب الشاشاني بهذا الحكم البغيض، وتمنى الخلاص منه، فكان الفتح الإسلامي لبلادهم، الذي خلّصهم من الظلم البيزنطي، الواقع عليهم، وحرر بلادهم من هذا المستعمر، وأعطاها لهم.

وقام المسلمون ببناء الجوامع والمدارس، وتصدر علماء المسلمين للدرس، فأقبل أبناء البلاد على دروسهم، يتتلمذون على أيديهم، حتى نبغوا نبوغاً عظيماً، وتفوقوا تفوقاً كبيراً، وذاع شهرة بعضهم في الآفاق، حتى أن أحد خلفاء الدولة العباسية، أسند إلى بعضهم التدريس في «المدرسة النظامية» ببغداد - أكبر جامعات العالم في ذلك الوقت -.

وظل الشاشانيون ينعمون بالأمن والأمان، والحرية والاطمئنان،

في ظل الحكم الإسلامي العادل، حتى جاءت روسيا واستولت على الشاشان وغيرها من بلاد القوقاز.

وقد أذل الاستعمار الروسي أهل هذه البلاد، واستعبدها،

إن إخواننا المسلمين في دول الاتحاد السوفيتي السابق، سواء في قارة آسيا أو في قارة أوربا في أمس الحاجة إلى وقوف اخوانهم المسلمين، في دول العالم الاسلامي بجوارهم، ومساعدتهم، ومناصرة قضاياهم، والتنديد بفظائع الاستبداد الروسي.

وآن الأوان ليشعر مسلم الشرق بأخيه في الغرب، فالكل مسلمون، يربطهم رباط واحد (لاإله إلا اللهمحمد رسول الله - ﷺ-) وتجمعهم راية واحدة هي راية الإسلام، ويربطهم رباط الأخوة ﴿**إنما المؤمنون أخوةٌ**. . ﴾[1].

ومعرفة أحوال وأخبار هؤلاء المسلمين واجبة شرعاً، على كل مسلم، يقول رسول الله - ﷺ -: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[2].

والاهتمام بأمر المسلمين، ليس أمراً عادياً، ولكنه فرض عين على كل قادر، أن يُغيث المستغيثين، ويأخذ بأيدي المستضعفين، ويدعم هؤلاء الضعفاء والمحتاجين، لأنهم جزء لايتجزأ من الأمة الإسلامية، وأعضاء من بدنها.

وجاءالكتاب في مقدمة وثمانية فصول وخاتمة، ومذيلة بقائمة

---

(١) آية ١٠/ الحجرات.

(٢) أبو بكر الهيثمي: مجمع الزوائد مجلده ج ١٠/٢٤٨ط٢ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧م، الشوكاني الفوائد المجموعة ص ٧٣ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.

للمصادر والمراجع، التي استخدمت في البحث، وفهرس للموضوعات.

فأما الفصل الأول فكان للتعريف ببلاد الشاشان جغرافياً، واقتصادياً، وبيان أهمية الموقع، والثروات.

وجاء الفصل الثاني للحديث عن أصل الشعب الشاشاني، وأهم المدن. وتوضيح أن شعب الشاشان، عريق، عاش على أرضه، منذ آلاف السنين، وارتبط بها، وأحبها، وأخلص لها، ودافع في سبيل حمايتها من المغيرين والأعداء، دفاعاً مستميتاً.

وظهر الشعب الشاشاني بشجاعته وقوته، وصلابته، واستماتته في الحق واستمساكه بدينه وعاداته الإسلامية.

وقد خُصص الفصل الثالث، لتوضيح كيفية وصول ودخول الاسلام بلاد الشاشان، واعتناق أهلها، عن حب واقتناع، وكيف أنه كان المنقذ، والمخلص لهم من ظلم الحكم البيزنطي، وأن الفاتحين المسلمين، حرروا البلاد من غاصبيها وردوها إلى أهلها.

والفصل الرابع: كان لبيان أثر الإسلام وحضارته في البلاد، وما أقامه المسلمون من أعمال، حتى انتعشت حياة الشاشانيين الاقتصادية والعلمية، ونبوغ كثير منهم وصاروا من العلماء الكبار في العالم، وأثر المساجد والمدارس التي أقامها المسلمون في ازدهار الحركة العلمية، ثم ترجمت لعدد من علماء الشاشان، وذكرت مؤلفاتهم، التي كانت نوراً يُضيء الطريق لكثير من المسلمين في جميع أنحاء الدولة الإسلامية.

وعُقد الفصل الخامس: لتوضيح كيفية احتلال روسيا للشاشان، طوال العصرين: القيصري والبلشفي، وكيف أن روسيا تحولت من دويلة صغيرة المساحة، قليلة السكان إلى امبراطورية واسعة، ابتعلت بلاد المسلمين في آسيا وأوربا. وذكرت العوامل التي ساعدتها على ذلك، ثم تآمرها مع دول الغرب على العالم الاسلامي، وتقسيم دوله.

وجاء الفصل السادس، ليتحدث عن نظام الحكم الروسى فى الشاشان طوال العصرين: القيصري والبلشفي، ومحاولة الروس القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية، بشتى الطرق، وكافة الوسائل، وحاربوا العلماء وترصدوا لهم كل مرصد، وقتلوا معظمهم، وأودعوا الباقي في غياهب السجون. ثم تهجيرهم للشاشانيين من بلادهم إلى سيبيريا وغيرها في ظروف قاسية، مات أكثرهم. كل ذلك لأنهم مسلمون متمسكون بدينهم ومحافظون على عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية. ثم هدم المساجد والمدارس الإسلامية، وإحلال اللغة الروسية محل العربية، ليفصلوا مسلمي الشاشان عن تراثهم وماضيهم، وعن الاتصال بإخوانهم المسلمين في كل مكان من أرض المعمورة.

ثم ألقيت الضوء على كفاح الشعب الشاشاني وجهاده، في مقاومة الاحتلال الروسي، بقيادة علمائهم، وأنهم ضربوا أروع الأمثال في التضحية والفداء، والتمسك بدينهم. ولذا فقد دوّخوا روسيا، وكبدوها خسائر فادحة، وظلوا على نضالهم وكفاحهم حتى انهار الاتحاد السوفيتي سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، فأعلنوا استقلالهم،

واختاروا أحد أبناء الشاشان المخلصين،ه، (جوهر دودايف) ليتولى رياسة الجمهورية، ويقود السفينة إلى بر الأمان، وينهض بالبلاد، بعد الخراب الشيوعي.

والفصل السابع: بين أحداث الغزو الروسي للشاشان، في الوقت الحاضر، وذكرت فيه أسباب ذلك الغزو، وكيف وضعت روسيا العراقيل في طريق دولة الشاشان المستقلة، وحصرها سياسيا. ثم ألقيت الضوء على أحداث الغزو، وأثره، وأعمال الروس الوحشية، وما ارتكبوه في حق الشعب من عملية إبادة له، وللمدن والقرى.

ووضح الفصل الثامن: الموقف الدولي من الغزو الروسي لبلاد الشاشان، سواء على الصعيد العربي والإسلامي، أو على الصعيد الغربي.

وأما الخاتمة: فقد جعلتها لبيان واجب المسلمين نحواخوانهم مسلمي الشاشان.

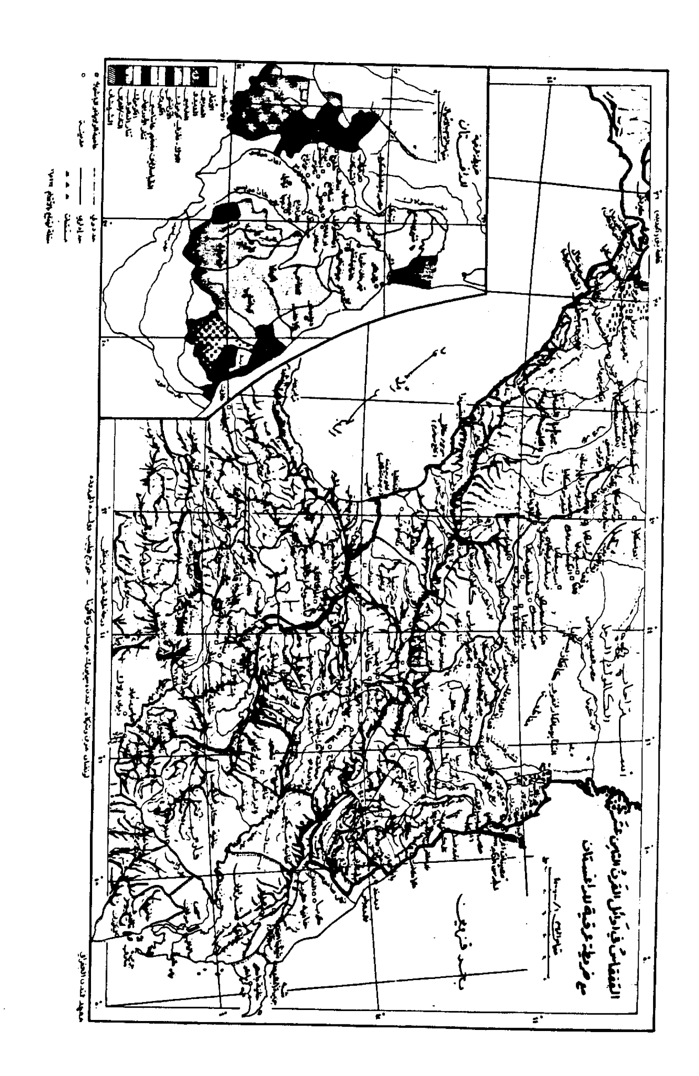
وأدعوا الله عز وجل - أن أكون وفقت فيما قصدت، وأذكر هنا أن ما كتبته يُعد خطوة في انتظار خطوات. وعلى الباحثين أن يخصوا تاريخ دول القوقاز وجمهورياته، بمزيد من البحث والدرس، لإلقاء الضوء الكاشف على حياتهم، وأحوالهم، وماذا يُعانون منه، بعد أن استقل البعض عن الاتحاد السوفيتي المنحل، وماذا يلزمهم، ليكون المسلمون على علم وبصيرة بهؤلاء. فيقدمون العون والمساعدة لهم، والأخذ بأيديهم إلى ركب الحضارة والتقدم.

وأتوجه إلى الله- سبحانه وتعالى - أن يمنحني القوة، والتوفيق،

والصبر، كي أكتب عن باقي جمهوريات القوقاز الإسلامية. والله من وراء القصد معين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

دكتور: السيد محمد يونس





الفصل الأول

التعريف بالشاشان ..
جغرافيا واقتصاديا

الشاشان هى إحدى جمهوريات(١) شمال القوقاز(٢)

ا - وهذه الجمهوريات هى:

(أ) كبارديا: بلكاريا: يحدها من الشرق، استينا الشمالية، ومن الغرب قرتشاى الشركسية. ومن الشمال روسيا، ومن الجنوب: جورجيا. يسكنها أغلبية مسلمة تقدر بـ (٦٠٪)، من إجمالى السكان. وعاصمة البلاد (نكتشيك).

(ب) قرتشاى الشركسية: يحدها من الشرق: كبارديا- بلكاريا. ومن الغرب الأديجةأو الأديغة ومن الشمال: اقليم: استافروبول الروسي، ومن الجنوب: جورجيا. ونسبة المسلمين بها (٨٠٪) من جملة السكان. وعاصمتها (شركسك).

(جـ) الأديغة أو الأديجة. ويحدها البحر الأسود من الجنوب

---

(١) انظر د. محمد السيد غلاب، د. حسن عبد القادر، محمود شاكر: البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة ص ٧٤٦ - ٧٤٩، سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا ص ٤٠١ - ٤٠٥..

(٢) أطلق العرب على «منطقة القوقاز»، «بلاد القفقاس»، و«القبج»، و«القفجان». وتنحصر بين بحر الخزر (قزوين) في الشرق، والبحر الاسود في الغرب. وتُعد جبال القوقاز عمودها الفقري، وهي تمتد من الشمال الغربى، من المضيق الذي يفصل بحر آزوف عن البحر الأسود، وتُعد امتداد مرتفعات «القرم» إمتداداً لها إلى الجنوب الشرقي، حيث تمتد شبه جزيرة (ابشيرون) في بحر الخزر - قزوين - عند باكو - عاصمة أذربيجان -، ويصل ارتفاع هذه الجبال إلى (٥٦٣٠ مترا)، في قمة (البروز). وتعتبر الحد الفاصل بين قارتي: (آسيا، وأوربا). وتسمى السهول، التي تقع إلى الشمال منها بـ «دشت القفقاز» - أى صحراء القفقاز -. أما الأجزاء الجنوبية، فهي تتمة لهضبة أرمينيا، ومرتفعات أذربيجان.
ويعيش في هذه المنطقة: شعوب كثيرة، أو مجموعات صغيرة، مختلفة في أصولها، متباينة في لغاتها. وهذا ما وقف عقبة في اتحادها، ولما كانت المناطق الوسطى منها، والجنوبية، وعرة. لذا كان سكانها مقاتلون أشداء، وساعدهم مواطنهم على التحصن بها. =

والغرب، ومن الجنوب الشرقي: جورجيا، ومن الشرق: قرتشاى الشركسية. ومن الشمال والشمال الشرقي، باقى أقاليم روسيا. نسبة المسلمين بها (٨٠٪) والعاصمة (ميكوب).

(د) أوستيينا الشمالية: يحدها من الشرق جمهوريتى الشاشان وأنجوش ومن الغرب قادريا، ومن الشمال باقى روسيا الاتحادية، ومن الجنوب جورجيا. العاصمة (أردجونيكيزي). ونسبة المسلمين بين السكان (٥٣٪).

(هـ) جمهورية الشاشان الاسلامية: وهى موضوع بحثنا هذا - التى تتمتع بالحكم الذاتي، وتصل نسبة المسلمين فى هذه الجمهوريات إلى حد الأغلبية، ولذا فقد وضعتها روسيا السوفياتية تحت الحكم الذاتي، التابع لها مباشرة، خوفاً من تكتلها وانفصالها عنها.

وذلك لاحتواء بلاد القوقاز على ثروات هائلة: زراعية، ومعدنية، وطاقة بشرية هائلة، وهذه الثروات تُعد الشريان الحيوى لروسيا، والمخزن الذى يمدها بمصادر الطاقة والثروة.

= وفي الجهات الشرقية، من الجنوب إلى الشمال، يتركز «الأكراد» في أذربيجان، وشروان، والداغستان، والقومون.
وفي المناطق الوسطيك الأرمن، فالكرج، الذين جاءوا فيما بعد. واللآن، واللزكي.
وفي السفوح الشمالية: سكن الشعب الشاشاني، فالأنغوش. وفي الجهات الغربية: الآجار، والقبائل الشركسية - أى التي أفرادها فرسان محاربون - حيث يقيم الأوستين، والقبرطاى في المرتفعات، والأبخاز في الغرب، والأديغة بقبائلهم المتعددة من أبزاخ، وشابسيغ، وبزادوغ حتى بحر آزوف.
ثم جاءت مجموعات من التتار، واستقرت في المنطقة أثناء غزوهم لها. كما قامت مجموعات أخرى من الأتراك مثل: البلكار، الذين يقيمون شمال القبرطاي. انظر د. محمد السيد غلاب وزميليه: البلدان الاسلامية ص ٧٤٤، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) ص ٣٦٤، ٣٦٥. د. محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي ج ١٤٨/١.

(أ) الموقع والمساحة:

تقع جمهورية الشاشان فى القسم الشمالى الشرقى من جبال القوقاز، يحدها من الشرق: جمهورية داغستان، ومن الغرب: جمهورية أستينا الشمالية، ومن الشمال: منطقة «ستافروبول» الروسية، ومن الجنوب: جمهورية جورجيا[١].

وبموقعها هذا فى السفوح الشمالية لجبال القوقاز، جعل الماء يتدفق إليها من الجبال، وتشكل أنهاراً كثيرة، ترفد فى نهر «ترك»، الذى يُعد أهم أنهار القوقاز، ويخترق أرض الشاشان. ولذا فإن أرضها تشتهر بخصوبتها، ووفرة الزراعات بها، بالاضافة إلى وفرة الثروة المعدنية، ولاسيما البترول، الذى تتوفر حقوله بالقرب من (غروزني) العاصمة[٢].

و«الشاشان»: فى كتب الجغرافيين القدامى: إقليم واسع، يشمل العديد من المدن، ،القرى، وهو متصل العمارة، كثير الخيرات، والثمار.

فيصفها ياقوت بقوله:

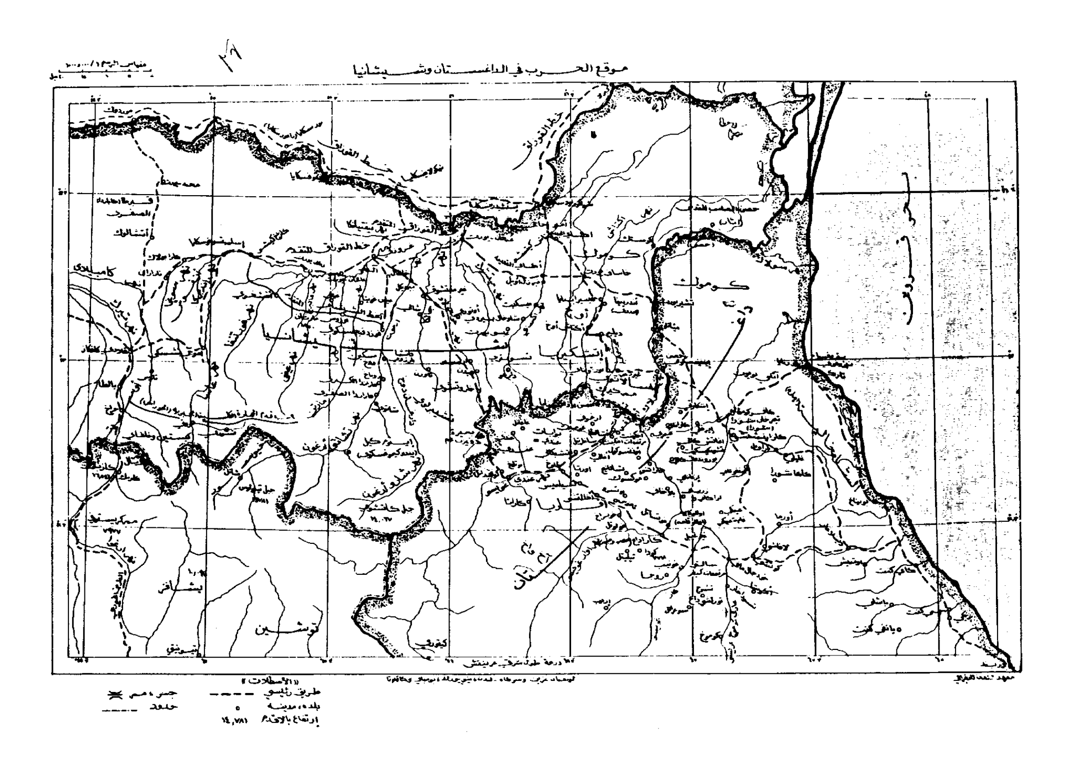
«الشاش إقليم ماوراء النهرين: «جيحون»، و«سيحون». خرج منها خلق من العلماء، والرواة، والفصحاء، أهلها شافعية، على الرغم من انتشار المذهب الحنفى فى معظم بلاد ماوراء النهر[٣].

---

(١) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا ص ٣٩٩.

(٢) د. محمد علي البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ج١ ص ١٦١. ط أولى دار الشروق - جدة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) بلاد ماوراء النهر: هي الأقاليم الواقعة وراء نهر جيحون.


موقع الحرب في الداغستان وشيشانيا

ويرجع ذلك إلى أبى بكر محمد بن اسماعيل القفّال الشاشي، الذى فارقها (أى بلده الشاشان)، وتفقه، ثم عاد إليها، ونشر بها المذهب الشافعي»[1].

وقد وصفها الاصطخرى بقوله:

«فأما «الشاش» و«إيلاق» فمتصلتا العمل، لا فرق بينهما، ومقدار عرض الشاش: مسيرة يومين فى ثلاثة. وليس بخراسان[2]، وما وراء النهر، إقليم على مقداره، من المساحة أكثر منابر منها، ولا أوفر قرى، وعمارة. فحدّ منها ينتهى الى وادى «الشاش»، الذى يقع فى بحيرة «خوارزم»[3]. وحد إلى الباب الحديد ببرية، بينها «إسفيجاب»، تُعرف بقلاص، وهى قَرَاع. وحدّ آخر إلى تنكرة، تعرف بقرية النصارى. وحدّ إلى جبال منسوبة إلى عمل «الشاش» إلا أن العمارة متصلة إلى الجبل، وما فيه مفترش العمارة.

«والشاش فى أرض سهلة، ليس فى هذه العمارة المتصلة جبل، ولا أرض مرتفعة. وهى أكبر ثغر فى وجه الترك[4] وأبنيتهم واسعة من طين. وعامة دورهم يجرى فيها الماء، وهى كلها مستترة

---

(١) معجم البلدان ج ٣/ ٣٠٨ بتصرف. وسوف نتحدث بإذن الله تعالى - عن أبي بكر الشاش هذا في فصل: أثر الإسلام وحضارته في الشاشان.

(٢) خُراسان: اقليم كبير، يشتمل على كورومدن، يحيط به من الشرق سجستان والهند، ومن الغرب نواحي جُرجان، ومن الشمال بلاد ماوراء النهر وجزء من بلاد الترك ومن الجنوب مفازة فارس: الإصطخري: المسالك ص ١٤٥.

(٣) خوارزم: إقليم واسع، كثير الضياع والمدن، وهي المنطقة التي تلي خراسان إلى الشمال، وتقع الى الشرق من بحر قزوين - انظر ياقوت: معجم ج ٢/ ٣٩٥، محمد فريد: الدولة العلية العثمانية ص ٣٦.

(٤) يقصد بهم: أهل التركستان الشرقية قبل إسلامهم.

بالخضرة، من أنزه بلاد ماوراء النهر[١]. وقصبتها - عاصمتها -: بُنْكَث[٢]. ولها مدن كثيرة»[٣].

ووصفها «أبو الربيع البلخي» بقوله:

الشاشُ بالصيف جَنّهْ ومن أذَى الحَرَّ جُنَّهْ

لكنني يَعْتَريني بها لدى البَرْد جِنّهْ[٤]

ويصف «بارتولد»: عاصمة إقليم «الشاش»، وهي: بُنْكَث، أو (طشقند) الحالية. فيقول: «كان يُحيط بمدينة بنكث سوران: (داخلى وخارجي)، وللسور الخارجى سبعة أبواب، وللسور الداخلى عشرة أبواب. وكان للشهرستان - المدينة الداخلة - ثلاثة أبواب، تُدعى: باب أبى العباس، وباب الجُنيد، وباب كش. وللقلعة بابان: أحدهما يفتح على الشهرستان، والآخر على الربض - الضاحية - وكان طول البلد فرسخ، وعرضها فرسخ. وكانت المدينة وأطرافها تزخر بالبساتين والرياض»[٥].

ومما سبق نعلم أن «الشاش» إقليم واسع، يضم كثيراً من المدن، والمناطق. والمنطقة كلها عُرفت باسم «الشاش».

---

(١) أطلق مؤرخو المسلمين القدامى على البلاد الواقعة وراء نهر جيحون - أى شماله - ببلاد ماوراء ا لنهر - انظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٦. ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد.

(٢) بُنْكَث: أقيم بالقرب منها مدينة (طشقند) عاصمة «أوزبكستان». وكانت تُسمى العاصمة بنكث بـ «الشاش» ثم حُرفت كلمة شاش في اللغة الدارجة إلى «تاش»، ثم إلى «طاش»، فسميت المدينة: «طشقند» أى المدينة الحجرية - لسترنج: مرجع سابق ص ٥٢٥.

(٣) المسالك والممالك ص ١٨٤ تحقيق د. محمد جابر عبد العالم الحيني، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ج ٣/ ٣٠٨.

(٥) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ص ٢٨٥، ٢٨٦.

مساحة الشاشان:

وأما مساحة جمهورية الشاشان فى الوقت الحاضر: (١٩,٣٠٠كم٢)[١]، أغلبها أراضى خصبة، تجود فيها زراعة عدد كبير من المزروعات، والمحاصيل، وكان لوفرة المياه أثر كبير فى ازدهار الحياة الزراعية.

(ب) الثروة الزراعية:

هى مصدر مهم من مصادر الدخل ويعمل بها عدد كبير من السكان[٢]. ولذا تُعتبر من أهم الحرف، التى يزاولها شعب الشاشان.

وقد منح الله - تعالى - بلاد «الشاشان» تربة خصبة، تصلح لزراعة كل المحاصيل، كما كان لمناخها المعتدل أثر طيب فى زراعة محاصيل البلاد الحارة، والمعتدلة[٣]. فمناخها بارد فى الشتاء، معتدل الحرارة فى الصيف.

وهذا المناخ جعل الروس يُولون عنايتهم لهذه البلاد، لاستثمارها، وانتاج ما يحتاجون إليه، من منتجات المناطق الدافئة، والحارة تُغنيهم عن الإستيراد، وتوفر لهم الاكتفاء الذاتي.

وفعلاً زرع فلاحو البلاد الأرض بالمحاصيل والزراعات

(١) د. اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر: العالم الإسلامي الحديث ص ٣٢٩، د. محمد السيد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٦.
(٢) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا ص ٣٩٩.
(٣) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٤١.

المختلفة، وحرموا ثمار كدهم، وكفاحهم، وعرقهم، حيث استصفى الاستعمار الأحمر خيرات البلاد لنفسه، وترك أهلها يُعانون الفقر والحاجة.

مصادر المياه:

وهى متوفرة، إذا كان لوقوع «الشاشان» فى السفوح الشمالية، لجبال القوقاز، جعل المياه تتدفق إليها بغزارة، من الجبال، وتشكل أنهاراً كثيرة، تلتقى كلها بنهر (ترك)[1]، الذى يمر فى العاصمة (غروزني). ويُعد من أهم الأنهار فى منطقة القوقاز، ويشكل الحد الفاصل بين «داغستان» وجمهورية «الشاشان»[2].

هذا بالاضافة إلى سقوط الأمطار. ولذا كان لوفرة المياه، والمناخ المعتدل، والتربة الخصبة، التى شملت معظم أراضى الشاشان، أثر كبير فى أن جعلها جنات وارفة، ملأى بالمزروعات، كثيفة بالأشجار[3].

وتظهر القرى كبيرة، بسبب تفرق المنازل، وانتشارها، فكل بيت حوله مساحة (١٠٠٠ متر مربع)، ليزرعها صاحب البيت، ويستثمرها[4].

ولذا نقول: إن هذه الأرض، هى الملكية الوحيدة، التى يمتلكها

---

(١) سيد بكر: مرجع سابق ص ٣٩٩.
(٢) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٦٥.
(٣) انظر ياقوت: معجم البلدان ج ٣/ ٣٠٨.
(٤) محمود شاكر: مرجع سابق ص ٧٧.

الإنسان، ويزرع فيها ما يشاء.

وهناك مزارع جماعية منتشرة بشكل واسع، خُصص لكل فلاح مساحة، ليزرعها حسب ما تصدر إليه القوى الروسية أمرها.

أهم الحاصلات الزراعية:

١ - القمح:

وهو من المحاصيل الغذائية الهامة، التى يعتمد عليها الإنسان فى غذائه ويُزرع بكميات كبيرة فى بلاد الشاشان، حيث تعتبر التربة الشاشانية، هى المنتجة الوحيدة للقمح فى بلاد القوقاز[١]، والتى تسهم بنصيب كبير فى كمية الإنتاج العالمى الروسي، عن طريق مستعمراتها الإسلامية، وتحتل بذلك روسيا المرتبة الأولى من إنتاج القمح العالمي، إذ يبلغ (٦٠,٠٠٠,٠٠٠) طن سنويا[٢].

٢- الأرز:

من النباتات الغذائية الهامة، التى يعتمد عليها الشعب الشاشانى فى غذائه[٣]، حيث تزيد قيمته الغذائية عن القمح، بالإضافة إلى سهولة هضمه[٤]، وغناه بالمواد النشوية. وكذلك يستخدم النشا فى تنشية الملابس القطنية.

٣- الشعير:

من الحبوب الغذائية، التى يدخل فى غذاء الشاشانيين، حيث

---

(١) مجلة (الخيرية) الكويتية ص ١٧ عدد (٥٧) شعبان سنة ١٤١٥هـ/ يناير ١٩٩٥م.
(٢) محمود شاكر: اقتصاديات العالم الإسلامي ص ٦١ ط. بيروت سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٣) لسترنج: بلدان الخلافلة الشرقية ص ٥٣١.
(٤) محمود شاكر: اقتصاديات.. ص ٦٣، ٦٤.

يدخل فى صناعة الخبز. ويحتل المرتبة الثالثة بين أنواع الحبوب، بعد القمح، والأرز. ويزرع منه فلاحو الشاشان مساحات لا بأس لها، تحتل نسبة عالية فى كمية الإنتاج الروسي، والذى يحتل المرتبة الأولى، من إنتاج العالم فى هذا النوع من الحبوب، إذ تنتج (١٥,٠٠٠,٠٠٠) طن سنويا[١].

٤- قصب السكر:

ويُزرع منه فى أرض الشاشان مساحات، للحصول على السكر، ثم إن أليافه تدخل فى صناعة الورق.

وكذلك يزرع بنجر السكر وتقوم الأيدى ا لعاملة بحفر الأرض واستخراجه منها، ويُنقل إلى معامل السكر، الذى تكون قريبة منه، فيُغسل حباته مما علق بها من تراب التربة، أو الشوائب، وتُقطع إلى شرائح، ثم يدخل المعامل، لاستخراج السكر منه.

وأما ما يبقى منه، من حثالة، تُجفف وتقدم غذاء للحيوانات[٢].

٥- الشاي:

انتشرت زراعته انتشاراً واسعاً، فى أرض الشاشان، وأعطى محصولاً جيداً، مع أنه من حاصلات المناطق الحارة[٣].

(١) محمود شاكر: اقتصاديات العالم الإسلامى ص ٦٢.
(٢) محمود شاكر: اقتصاديات العالم الاسلامي ص ٧٤، ٧٥، مجلة (الخيرية) الكويتية ص ١٧ عدد رقم (٥٧) السنة (٦) شعبان سنة ١٤١٥هـ/ يناير سنة ١٩٩٥م.
(٣) محمود شاكر: المرجع السابق ص ٥٨.

٦- الفواكه:

تركزت زراعتها فى الأودية، والسفوح الجبلية، والسهول المروية[١]. وأعظم أنواعها مايزرع على السفوح الجبلية، حيث تتعرض للمطر، فإن لم يصبها وابل، فطلٌ، تأخذ منه شيئاً من الرطوبة. وفى الوقت نفسه تكون معرضة لأشعة الشمس. لذا كانت السفوح المتجه نحو الشمس، هى الغاصة بالأشجار، والمنزرعة بالثمار، إضافة إلى أن السفوح جيدة الصرف، لا تتجمع المياه عند الجذور، فتؤثر على طعم الفاكهة[٢].

ومن أشهر أنواع الفاكهة، التى تنتجها أرض الشاشان: التفاح، والكمثرى، والمشمش، والعنب[٣].

وتنتج البلاد من المشمش كميات كبيرة، تجعل الشاشان تحتل مركزاً عالمياً[٤].

ويذكر الاصطخري: أن فواكه الشاشان كثيرة جدا، وبلغ من كثرتها، ووفرتها، أنه كان يُحمل منها إلى سائر الآفاق[٥].

٧- القطن:

هو من المحاصيل التجارية الهامة، التى تدخل فى صناعة المنسوجات، والزيوت. ويُزرع منه كميات كبيرة، على طول نهر ترك[٦].

(١) محمود شاكر: قفقاسيا ص ٤١.
(٢) محمود شاكر: اقتصاديات العالم الإسلامي ص ١٢٧.
(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٣١.
(٤) محمود شاكر: اقتصاديات.. ص ١٢٨.
(٥) المسالك والممالك ص ١٦٢.
(٦) محمود شاكر: اقتصاديات العالم.. ص ١٢٠.

وتنتج البلاد الإسلامية، الواقعة تحت سيطرة الروس (٩٥٪) من جملة الإنتاج الروسي[١].

٨- الكتان:

من المحاصيل التجارية، حيث تقوم عليه صناعة قماش تنجيد أثاث البيوت، والستائر، والملابس. والنوع الخشن، يصنع منه، الأجولة والأكياس.

هذا بالإضافة إلى زراعة الزيتون والفواكه المختلفة. كما تنمو الغابات على سفوح الجبال، وتمد الباد بثروةخشبية عظيمة، تدخل فى صناعة البناء، والأثاث وغيرها.

وتؤدى هذه الغابات دوراً عظيماً فى مقاومة الغزاة، والمحتلين، إذ يلجأ إليها المجاهدون من أبناء البلاد، وينفذون خطتهم الهجومية ضد الأعداء.

(جـ) الثروة الحيوانية:

تتوفر المراعى بكثرة فى أرض «الشاشان»، فى مناطق الشمال والسفوح الجبلية[٢]. مما يؤدى إلى إزدهار الثروة الحيوانية فيها، حيث تُربى الماشية[٣]، والأغنام، والماعز، والخيول، والبغال[٤].

ويعمل بها عدد لا بأس به من السكان، كما يعمل مجموعة منهم

---

(١) محمود شاكر: اقتصاديات العالم ص ١٢٠.
(٢) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٤٢.
(٣) ينغش وكلكاجي: المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ص ١٢٩.
(٤) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٣١.

فى صيد الأسماك، من بحر قزوين[١].

وتعد الثروة الحيوانية مصدراً من مصادر الدخل فى البلاد، حيث توفر اللحوم، ومنتجات الألبان، وتقوم عليها صناعة المنسوجات الصوفية، وحفظ اللحوم وتعليبها.

(د) الثروة المعدنية:

يُوجد فى باطن الأرض الشاشانية، ثروة هائلة من المعادن أهمها: البترول، ويتركز حقوله بالقرب من العاصمة (غروزني)[٢]، ويمتد حتى شمالى داغستان[٣]، ويُنقل منها بأنابيب إلى مصانع التكرير فى العاصمة.

ويبلغ إنتاج الشاشان منه (٢٠,٠٠٠,٠٠٠) طن سنوياً[٤]. والبترول يمثل أعظم مصادر الثروة فى البلاد، وتقوم عليه العديد من الصناعات، بالإضافة إلى أن عدداً كبيراً من السكان يعمل به.

كما تحوى أرض الشاشان كميات كبيرة من احتياطى النفط. وتُعد ثانية دول العالم فى انتاجه بعد منطقة الخليج العربي[٥].

ويُستخرج من باطن التربة كذلك: الحديد، والنحاس، والذهب، والرصاص، والفضة[٦].

---

(١) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٤٢.
(٢) المرجع السابق: ققفاسيا ص ٧٦.
(٣) المرجع السابق: اقتصاديات العالم الإسلامي ص ١٦٥.
(٤) د. محمد السيد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٦.
(٥) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٤٢.
(٦) ياقوت: معجم ج١/ ١٧٢.

ويذكر بعض الباحثين: أن فضة الشاشان ظلت تُستخدم فى صناعة السكة (العملة) طوال العصر العباسي[١].

ويذكر ياقوت أن بلاد الشاشان جبل حجارته سود، تحترق، كما يحترق الفحم، يُباع منها حمل بدرهم وحملان. فإذا احترق اشتد بياض رماده، فيستعمل فى تبييض الثياب. ولا يُعرف فى بلدان الأرض مثل هذا[٢].

(هـ) أهم الصناعات:

تُقام بالشاشان صناعة هامة، منها: الصناعات البتروكيماوية، والصناعات الحديدية، والصناعات المدنية، والعسكرية، وصناعة الأجهزة الطبية، والكهربائية[٣]، ومعدات البناء، والأسمنت، والجرارات. وصناعة المنسوجات الصوفية، والقطنية، وصناعة الزيوت، وحفظ اللحوم، وتعليب الأسماك، والسكر، وغيرها من الصناعات.

---

(١) بارتولد: تركستان.. ص ٢٨٦، د. محمد علي البار: المسلمون.. ج٢/ ٥١٥.
(٢) معجم البلدان ج١/ ١٧٢.
(٣) محمود شاكر: اقتصاديات العالم الإسلامي ص ٢٤١.

الفصل الثاني

أصل الشعب الشاشاني..
وأهم المدن الشاشانية

أصل الشعب الشاشاني

الشعب الشاشاني من الشعوب القديمة، التي سكنت منطقة القوقاز، منذ آلاف السنين، ويُشكلون أحد الشعوب الأصلية لهذه المنطقة، والتي تشمل أيضا شعوب الشراكسة[١]، والآفار في (الداغستان)[٢]، والأنجوش، وشعب أوسيتيا الشمالية والجنوبية[٣]، إضافة لشعب الكارتفيل، وهو العرق الأصلي للشعب الجورجي[٤].

وتذكر الأساطير القومية: أن شعب الشاشان، ينحدر من سلالة

---

(١) الشراكسة، يُعرفون بعدة أسماء منها: «حرمات»، و«زيغ»، و«جراكسة». وقيل انهم من جنس المجموعات الهندية الأوربية، أو أنهم من أحفاد الحيثيين، أو من سلالة المصريين القدماء، فقد وصل «رمسيس الثاني» في فتوحاته إلى بلاد «القوقاز»، وترك بها حامية من المصريين. وعلى كل فقد سكنت مجموعة من المجموعات السابقة وعرفوا بالفروسية. ومعنى شركس أو جركس: الجندي البارع، حيث كانوا يتحكمون في الممرات الجبلية بين آسيا وأوربا - انظر محمود شاكر - قفقاسيا ص ٢٥، ٢٦.

(٢) الداغستان: جمهورية ذات حكم ذاتي فى الاتحاد السوفيتي المنحل، يمثل المسلمون فيها أغلبية. تقع فى شرقى جبال القوقاز، يحدها من الغرب: جُورجيا، وجمهورية الشاشان، ومن الشمال، والشمال الغربى: روسيا، ومن الجنوب: أذربيجان.
وداغستان كلمة تركية معناها: سكان الجبال، فكلمة (داغ) تعنى جبل، و(ستان) تعنى سكان. أنظر: د. محمد السيد غلاب، ود. حسن عبد القادر، ومحمود شاكر: البلدان الاسلامية ص ٧٤٤، سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا ص ٣٦٧.

(٣) أوسيتيا: منطقة واحدة، قام الاستعمار الروسي بتقسيمها إلى قمسين: شمالية وهي التي يسكنها المسلمون. وهي جمهورية، ذات حكم ذاتى. تتبع روسيا الاتحادية. والثانية: جنوبية، ويسكنها أغلبية مسيحية، وهى ذات حكم مستقل، تتبع جمهورية جورجيا.
وأوسيتيا تقع في النطاق الشمالي من جبال القوقاز، يحدها من الشرق جمهورية الشاشان، ومن الغرب: قارديا، ومن الشمال: روسيا الإتحادية، ومن الجنوب جمهورية جورجيا - المرجعين السابقين الأول ص ٧٤٨، والثاني ص ٤٠٥، ومحمود شاكر: قفقاسيا ص ٨٨.

(٤) يسكن الشعب الجُورجي الآن جمهورية جورجيا، إحدى جمهوريات الإتحاد السوفيتى المنحل، ذات حكم مستقل، تشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز. يحدها من الشرق: جمهورية: داغستان، والبحر الأسود من الغرب. ومن الشمال جمهوريات: الشاشان، وأسيتيا الشمالية، وكبارديا. ومن الجنوب: أذربيجان وأرمينيا ويمثل المسلمون فيها الخمس. سيد بكر: الأقليات المسلمة ص ٣٦١.

بطل أُسطوري يسمى: (توربالور – نختشو). وتوجد هناك أنشودة خاصة لدى الشاشانيين عنه، بقيت إلى يومنا هذا.

وتقول الأنشودة:
كالشرر المتطاير من الفولاذ
انحدرنا من سلالة توربالوا – نختشو
ولقد ولدنا في الليل
عندما ولدت الذئبة صغارها
ولن نفقد مجد أبينا توربالو – نختشو[1].

وكان وقوع الشاشان في منطقة القوقاز أثره الواضح في أن جعل كثيراً من الأمم والشعوب القديمة، تطمع في السيطرة على هذه المنطقة، لأهميتها، ولموقعها الاستراتيجي المهم، فهي منطقة الربط بين قارتى «آسيا» و«أوربا»، والحد الفاصل بينهما. وتمتلك طرق التجارة الرئيسية بين القارتين، إذ يمر في وسط بلاد القوقاز ممر (دريال)، الذي يجري فيه أحد روافد (نهر ترك)[2] وجميع الشعوب التي توجهت إلى أوربا، دخلتها عن طريق منطقة القوقاز. وقد استقر بعضها بقصد السيطرة على المنطقة، ومكثت أخرى للتجارة، وتحصن آخرون، واضطر أقوام إلى الفرار من جيرانهم، أو من الغزاة.

---

(١) د. أحمد موسى عادل الشاشانى: الجذور التاريخية للحملات العسكرية الروسية ضد الشاشان. مقال بمجلة «المجتمع» الكويتية ص ٣٧ عدد رقم (١١٣٢)، ٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ/٣ يناير سنة ١٩٩٥م. وذكر أن هذه الأنشودة في كتاب مطبوع فى العاصمة «غروزنى» سنة ١٩٣٠م. الدكتور من الشاشان، ويعمل أستاذاً في جامعة الملك سعود الآن – بالرياض، بالمملكة العربية السعودية.
(٢) د. محمد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٤.

وكان لذلك أثره فى أن ضمت المنطقة مزيجاً من الشعوب، التى انصهرت فيما بينها، وعُرفت بالقفقازيين[١].

وجرّ مواطن هذه الشعوب عليها صعابا كثيرة، حيث طمعت فيها كل الدول المجاورة، التى تريد السيطرة، وحاولت احتلالها كل الحكومات العسكرية الناشئة. فغزاها «الآشوريون»، و«الكلدانيون»، و«المصريون القدماء».

وهذا ما أكسب شعب هذه المنطقة صلابة وقوة، وجرأة فى الدفاع عن بلادهم ومواطنهم.

وكان لطبيعة البلاد الجبلية، وكثرة الغابات تأثير كبير ساعدهم على إحباط محاولات الغزاة فى السيطرة عليهم.

وقامت فى منطقة القوقاز «دولة ميديا» فى القرن السابع (قبل الميلاد)، ثم استولى عليها «الاسكندر المقدوني».

وحين ظهرت «الدولة البيزنطية»، قامت ببسط سلطانها على معظم مناطق القوقاز. وذلك فى القرن الثالث الميلادى بعد أن وصلت إليها الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادى[٢].

ثم قامت الدولة «الساسانية الفارسية» ببسط سيطرتها على المناطق الجنوبية الشرقية[٣].

وهكذا نعلم أن بلاد القوقاز، كانت ميداناً للتنافس والتسابق بين

---

(١) محمود شاكر: قفقاسيا ص ٦، ٧.
(٢) المرجع السابق ص ٧.
(٣) د. محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتى ج١/ ١٤٣، ١٤٤.

الدولتين العظيمتين - فى ذلك الوقت - البيزنطية، والفارسية. كل منهما تُريد أن تضمها إلى ممتلكاتها.

وعلى الرغم من أن كلاً منهما قد بسطت سلطانها على جزء من البلاد، إلا أن السكان لم يرضخوا لذلك، فكثيراً ما قاموا بانتفاضات، وثورات ناجحة، ساعدهم على القيام بها، طبيعة البلاد الجبلية، وغاباتها الكثيفة.

ويذكر أحد الباحثين الشاشانيين، أن «الشاشان بجبالها الوعرة، وغاباتها الكثيفة، من المناطق التي لم تخضع عبر التاريخ لأى فاتح أو غاز[1]. فقد قاوم أهلها الغُزاة، ودوخوهم، فإذا ما دخلها غاز، وظن أنه امتلكها، أتاه الشاشانيون من حيث لايدرى، وقتلوا وأثاروا الرعب في صفوف جنوده[2]، فهم كما وصفهم - أحد كُتّاب الروس - كالخفافيش، يظهرون فجأة، ثم يختفون فجأة، دون أن يشعر بهم أحد[3].

وفى غزو الشاشان الأخيرة من قبل روسيا، أعرب أحد جنود الروس بأنه في العاصمة «غروزنى» على الرغم من أنهم دمروها تماما، إلا أنه يشعر بحالة ذعر شديد، فالموت حوله، يأتيه من كل مكان.

يصرح ذلك الجندى بقوله: «أنه يسير وسط أطلال العاصمة

(١) د. أحمد موسى عادل الشاشانى: الجذور التاريخية للحملات العسكرية الروسية ضد الشاشان، مقال بمجلة المجتمع ص ٣٨.
(٢) بنغش وكلكاجى: المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتى ص ١٣١.
(٣) الخفافيش: جمع خفاش، وهو طائر، يطير بالليل، ويُبصر الأشياء بالليل وفى الأجواء المعتمة بسهولة - ابن منظور: لسان العرب: ج٢/ ٨٦٦. طبعة دار اللسان - بيروت.

حذراً، لايعرف من أين يأتيه الموت، ليقتلوا عشرات الجنود الروس، ثم يختفون فجأة كذلك»[1].

عدد السكان ونسبة المسلمين:

يقدر عدد سكان الشاشان، حسب إحصاء سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م (١,٢٨٩,٧٠٠) نسمة، أى مليون وثلث المليون تقريبا. وهذا العدد لايشمل كل الشاشانيين، بل هناك (١٠٠,٠٠٠) نسمة، يقيمون في تركيا، (١٥,٠٠٠) نسمة فى الأردن، و(٧,٠٠٠) نسمة فى سوريا، و(٤٩,٠٠٠) نسمة في داغستان[2].

هذا بالإضافة إلى أعداد كبيرة منهم، فى الدول المجاورة لهم، هاجرت إليها تحت ضغوط مختلفة وهذه الأعداد كان لها دورها فى تحريك الرأى العام فى الدول التى يقيمون فيها، ضد الغزو الروسى الغاشم لبلادهم.

ونسبة المسلمين بين السكان (٧٤٪) من جملة السكان[3]. والسبب فى هذه النسبة ماقام به الروس، من إجبار مسلمى البلاد على الهجرة من ديارهم، وترك أوطانهم، وإحلال أعداد كبيرة من الروس مكانهم، فى محاولة للقضاء على وحدة المسلمين، وعدم ائتلافهم، وتذويبهم في المجتمع الروسى.

---

(١) جريدة «اليوم» السعودية ص ٢٥ عدد رقم (٧٩١٣) الاثنين ١٤ من رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٣فبراير سنة ١٩٩٥م.
(٢) بنغش وكلكاجي: المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفيتى ص ١٢٢.
(٣) د. محمد السيد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٧.

ويسكن العاصمة (غروزني): [٣٧٧,٠٠٠] نسمة[١]، أغلبهم من الروس[٢]. الذين جاءت بهم السلطات الروسية من أماكن أخرى، وزرعتهم في عاصمة الدولة الإسلامية، ليتولوا الإشراف على المؤسسات العامة، والمشاريع الكبرى، حتى لايكون للمسلمين سيطرة على شيء،من وسائل الإنتاج والتصنيع في بلادهم.

ويتألف سكان الشاشان من مجموعتين رئيسيتين هما:

١- الشاشان: ويقطنون المرتفعات.

٢- الأنجوش: ويسكنون السهول:

وكلهم مسلمون. وعاشت المجموعتان مع بعضهما في وفاق، ومحبة، وألفة، حتى جاء الاحتلال الروسى الغادر وعمل على تمزيق البلاد الإسلامية، وإضعاف قوتها؛ فأوعز إلى الأنجوش بالانفصال عن الشاشانيين فى جمهورية خاصة بهم، ذات حكم ذاتي، تتبع سيطرتهم مباشرة، ومنّوا رجال السلطة فيها بالأمانى المعسولة، حتى سال لعابُهم لها ومع أنها فى الحقيقة ﴿**كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءهُ لم يجده شيئا**﴾[٣].

وفعلا استقلت الأنجوش عن الشاشان، فى دولة مستقلة، فى شهر يوليو سنة ١٩٩١م.

عناصر السكان:

يتكون سكان الشاشان من العناصر الآتية:

---

(١) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في آسيا ص ٣٩٩.
(٢)محمود شاكر: قفقاسيا ص ٧٨.
(٣) من آية ٣٩/ النور.

١ - الشاشانى، ويبلغ تعدادهم (٧٣٥) ألفاً.

٢ - الروس، ويقدر عددهم (٢٩٤) ألفاً.

٣ - الأنجوش، ويبلغ عددهم (١٦٤) ألفاً.

٤ - الأرمن، ويصل عددهم إلى (١٥) ألفاً.

٥ - الأوكراني: ويصل عددهم إلى (٦٨) ألفاً.

وقد أخذ عدد الروس يتناقص، شيئا فشيئا، وذلك لمغادرتهم بلاد الشاشان، حتى أنهم أصبحوا فى سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٨٩م، يُشكلون (٢٠٪) فقط من جملة السكان[1].

وهذه العناصر قد اندمجت مع بعضها، بمرور الزمن، وصارت تُؤلِّف الشعب الشاشانى الآن.

الديانة:

كانت الديانة المنتشرة بين الشعب الشاشانى، هى: عبادة الأصنام والأوثان، شأنهم فى ذلك شأن الشعوب والأمم القديمة.

ولما ظهرت الديانة المسيحية، تسربت إلى بلاد القوقاز، وانتشرت بين بعض السكان، و، ذلك فى القرن الأول الميلادى[2]. ودان بعض أبناء الشاشان بالمسيحية. بينما بقى البعض الآخر على وثنيته.

ولما أشرقت أنوار الإسلام، من مهد الإسلام، مكة المكرمة،

---

(١) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢٩.
(٢) محمود شاكر: قفقاسيا ص ٧.

انتشر شرقاً وغرباً، وتوجهت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد القوقاز، فى القرن الأول الهجرى، وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وكان للدعاة المسلمين، الذى أخلصوا للدعوة، ووهبوا حياتهم فى سبيلها، دور رائع فى إسلام كثير من أبناء هذه البلاد، كما كان للتجار المسلمين، الذين يرجون تجارة لن تبور، أثر عظيم، وجهد مخلص فى نشر الدعوة الإسلامية فى تلك الجهات[1].

وتوالت الفتوحات الإسلامية، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وطوال عهد الدولة الأموية والدولة العباسية. حتى انتشر الإسلام فى هذه البلاد، وصار دين الأغلبية.

وعرف الإسلام طريقه إلى قلوب أبناء الشاشان فى القرن الأول الهجرى، منذ عهد الخليفة عمر - رضى الله عنه - وظل يغزو القلوب، ويُقبل عليه أبناء البلاد يدخلون فيه عن حب ورغبة، وتملك الإسلام قلوبهم، وصار أعز عليهم من أنفسهم، يُضحون في سبيله بكل نفيس وغال.

فما أن لمس الدين الإسلامى، شغاف قلب إنسان، إلا وملك عليه حياته، وصار أغلى شيء عنده، يفديه بنفسه وماله، ويُهون فى سبيله كل عزيز.

وصارت بلاد الشاشان منذ أواخر العصر الأموى ولاية تتبع الدولة الإسلامية، وفى العصر العباسى، كانت أهم ولاية لها، حيث كانت

(١) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٠.

الدولة الإسلامية تعتمد على فضة بلاد الشاشان في صناعة العملة الإسلامية[1]. وعندما قامت الدولة العثمانية عملت على نشر الإسلام وحضارته فى بلاد الشاشان، وتوسعت فى بناء المدارس والمساجد، لتكون منارة يشع منها نور الإيمان والعلم. كما ذهب أبناء البلاد إلى الدول الإسلامية، وتعلموا على أيديهم ونبغوا نبوغاً عظيماً، وصاروا من علماء الدولة الإسلامية البارزين.

كما كان للطرق الصوفية دورها فى نشر الإسلام، وتكوين جبهات موحدة من أهل البلاد، للتصدى للغزو الروسى، ومقاومة المحتلين، وبفضل علماء هذه الطرق صمد المجاهدون ضد المحتلين، وقاوموهم على مدار السنين.

وعُرف أهل الشاشان - منذ القدم - بقوة تمسكهم بعقيدتهم[2]، والذود عن حماها، والاستماتة فى سبيلها، مهما كلفهم الشىء الغالى.

ولذلك قاوموا الروس بكل شجاعة وبسالة، عندما أرادوا أن يقضوا على هويتهم الإسلامية، ويطمسوا معالمهم ولذا عانوا فى سبيل ذلك الكثير من الاضطهاد والتعذيب، والقتل، والتهجير إلى ديار أخرى غير ديارهم. ومع ذلك صبروا وصابروا ابتغاء مرضاة الله، والحرص على رضاه؛ فضربوا بذلك أروع المثل فى التضحية والفداء.

---

(١) بارتولد: تركستان ص ٢٨٦، د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥١٥.

(٢) ينغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ٢٤.

وبالإضافة إلى الدين الإسلامى، الذى صار دين الأغلبية من السكان، توجد أقلية روسية، أُتى بها من «موسكو»، لتتغلغل بين السكان، فى محاولة لطمس المعالم الإسلامية، وهؤلاء يمثلون (٢٦٪) من جملة السكان.

ثم هدى الله منهم أعداداً إلى اعتناق الإسلام فأسلموا، وحسن إسلامهم. وقد أجرى بعض الباحثين فى تحقيق قام به فى سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م أن عدد الروس فى الشاشان، الذين دخلوا فى الإسلام (٩ , ١١٪). ومع أن التقارير التى يقوم بها الباحثون الغربيون تتعمد إنقاص عدد المسلمين، ولذا فإن النسبة أكثر من ذلك بكثير. وهؤلاء عندما جاء الغزو الروسى للشاشان، واعتدوا بوحشية على العاصمة (غروزنى)، قام مسلمو الشاشان بمساعدة إخوانهم الروس المسلمين، الذين يعيشون معهم، إلى نقلهم لمكان آخر، بعيداً عن القصف الروسى.

ويُصرح وزير خارجية الشاشان (شمس الدين يوسف) أنه يُوجد في العاصمة الروسية (موسكو) (١٧٪) مسلمون من الروس، يسؤهم ما يحدث لإخوانهم المسلمين فى الشاشان. وقد احتجوا على ذلك. وذكر الوزير أنه فى إمكان المجاهدين الشاشانيين، أن يحرقوا «موسكو»، كما فعل الروس، وأحرقوا (غروزنى) عاصمة بلادهم. ولكنهم لايفعلون ذلك، لأنهم يحاربون الديكتاتور (يلتسين)، ورجال دولته، أما المدنيون، فلا ذنب لهم. كما أن الدين الإسلامى يمنعهم من فعل ذلك.

وشتان بين ما يفعله الروس الطغاة، من تدمير المدن، وقتل المدنيين الأبرياء، العزل، وبين ما يُراعيه المسلمون فى حروبهم.

ومع أن روسيا لو وجدت سبيلاً لإنزال مصائب بالمسلمين، لأقدمت عليه سريعاً، بصرف النظر عن كونه مشروعاً أو غيره.

اللغة:

منذ أن دخل الإسلام بلاد الشاشان، وغيرها من جمهوريات القوقاز، والمسلمون يستخدمون اللغة العربية، لغة «القرآن الكريم»، والدين الإسلامى.

وقد انتشرت هذه اللغة مع انتشار الإسلام فى البلاد، وذلك لحاجة من يدخل فى الإسلام إلى تعلمها، لقراءة كتاب الله العزيز، وأداء الصلوات، ومعرفة أمور الدين، فكان على علماء المسلمين، الذين ينشرون الإسلام بين الناس، أن يُعلموهم اللغة العربية، شيئاً فشيئاً، حتى صارت اللغة الأساسية لجميع مسلمى البلاد.

وبالإضافة إلى اللغة العربية، كانت هناك: اللغة الفارسية، ولغة خليط من اللهجات المحلية تعرف بـ «التشاغاتائية».

يقول باحثان غربيان: «كان مسلمو روسيا - أى مسلمو البلاد التى وقعت تحت سيطرتهم - حتى منتصف القرن التاسع عشر - الميلادى - يستخدمون اللغة العربية، والفارسية، ولغة معقدة، ومصطنعة، كانت خليطاً من قازان، وتتريه، والتشاغاتائية»[1].

ثم يُوضحان أن جمهور المسلمين، لم يكن يعرف اللغات الأخرى، غير العربية. فيقولان:

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ٢٩. تعريب عبد القادر ط دار الفكر - بيروت.

«وكانت نخبة من الأدباء فقط، على صلة بهذه اللغات»[1].

ولعل أن يكون لأهل الشاشان، لغة، أو لهجة محلية، مع اللغة العربية. وكانت هذه اللهجة المحلية تكتب بالحروف العربية[2]. مما يدل على ارتباطهم الوثيق بلغة «القرآن المجيد»، والدين الإسلامي، الذى أحبوه، ووقر فى القلوب.

وعندما وقعت البلاد تحت السيطرة الروسية، عمل رجالها على إجبار الناس على استعمال أحرف غير عربية فى الكتابة، ثم فرضوا اللغة الروسية عليهم فرضا، وجعلوها اللغة الرسمية[3].

وهى محاولة خبيثة للقضاء على اللغة العربية، لغة المشاعر، والعواطف، والأحاسيس، والربط، والتآلف بين المسلمين جميعا في كل مكان، ومن أهم وأقوى عوامل الوحدة بينهم.

أهم المدن الشاشانية:

بلاد الشاشان فى كتب التاريخ والرحلات القديمة، إقليم واسع، يشتمل على مناطق واسعة، كثيرة العمران، والخيرات، ليس فى بلاد ماوراء النهر إقليم على مقداره من المساحة، أكثر منابراً منها، ولا أوفر قرى وعمارة[4].

وتشتمل على العديد من المدن الهامة.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩.
(٢) د. محمد غلاب، د. حسن عبد القادر، محمود شاكر: البلدان الإسلامية ص ٧٤٧.
(٣) المرجع السابق ص ٧٤٧.
(٤) ياقوت: معجم البلان ج٣/٣٠٨.

من بين هذه المدن: (بُنْكث) - العاصمة، والتى تسمى الآن (طشقند). وتقع فى جمهورية «أوزبكستان»[1]. وهذا يدل دلالة واضحة على سعة إقليم الشاشان، واشتماله على عدد كبير من المدن، وكما نعرف أن الروس عندما احتلوا بلاد المسلمين، عملوا على تفتيتها، وتقسيمها إلى إمارات، ودويلات صغيرة، وعمدوا إلى بذر الخلافات بين حكامها حتى ينشغل بعضهم ببعض، عما يُدبر لهم من مكائد وحيل، فإذا ما فطنوا لها، لم يقدروا على ردها، لتفرقهم وضعفهم.

وإلى جانب (بنكث) - العاصمة - القديمة للشاشان، يُوجد كثير من المدن، فقد ذكرها الاصطخرى (٢٧) مدينة[2]. بينما يذكر المقدسى أن مدن الشاشان (٣٤) مدينة[3] أهمها.

١ - مدينة (غروزني) - العاصمة:

من أهم مدن جمهورية الشاشان، بها قصر الرياسة، ومقر الحكم، وعدد من المطارات، وبها العديد من الجوامع، والمساجد، والمدارس الإسلامية، والمعاهد العلمية. والتقنية وجامعة البترول، التي تُعد أقدم جامعة فى العالم.

وقد قام الروس فى عدوانهم الأخير بهدم المؤسسات العلمية، ودور العبادة، وتدمير المدينة بأكملها، وتحويلها إلى مجموعة من الأنقاض.

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥١٣.
(٢) المسالك والممالك ص ١٨٥.
(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٢٦٤، ٢٦٥.

كما أحرقوا جامعة البترول، ودمروا المنشآت النفطية، خاصة «المصفاة»، التى كانت طاقتها (٣٠ مليون) طن سنويا.

وإبان الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨ - ١٣٦٣هـ/ ١٩٣٩ - ١٩٤٥م) كان (٨٦٪) من البترول، الذى تستخدمه القوات السوفيتية، يأتى من الشاشان[١].

ومدينة «غروزنى» - العاصمة - على جانب كبير من الأهمية، حيث يمر فى أراضيها شبكة سكك حديدية، تربط روسيا بأذربيجان وغيرها من الدول الإسلامية، التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتى السابق.

كما تمر في أراضيها أنابيب النفط الأذربيجانى، مارة إلى روسيا.

وبالقرب منها تُوجد حقول البترول، حيث تنتج (٢٠مليون) طن سنوياً[٢].

ويقام فيها العديد من المصانع والشركات، أهمها معامل تكرير البترول، وقيام الصناعات البتروكيماوية. ويعيش فيها نسبة كبيرة من الروس، للإشراف على إدارة المصانع، والسيطرة على وسائل الإنتاج[٣].

وقد تأسست هذه العاصمة (غروزنى) سنة ١٨١٨م[٤].

وصرح وزير خارجية الشاشان (شمس الدين يوسف) بأنه يُوجد

---

(١) «العالم الاسلامى» ص ٢ عدد (١٣٩٧) الاثنين ١٢ من شوال سنة ١٤١٥هـ/ ١٣ من مارس سنة ١٩٩٥م - حديث أدلى به سعادة وزير خارجية الشاشان.

(٢) د. محمد السيد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٦.

(٣) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢٨.

(٤) «المسلمون» ص ٢ عدد رقم (٥٢٦) ٢ شوال سنة ١٤١٥هـ/ ٣ مارس سنة ١٩٩٥م.

فى العاصمة (١٥٠) ألف روسى، يعيشون فيها مع المسلمين، وعندما اشتدت حدة القصف الروسى للمدينة، لجأ هؤلاء الروس إلى الشاشانيين، للإحتماء بهم، فآووهم، وحموهم من نيران ووحشية بنى جنسهم الظالمين، لأنه لا يمكن بالطبع ردهم، فالمسلم يُجير من استجاره[١].

٣- مدينة (فلاديفقاس):

من المدن الشاشانية الهامة، يسكنها مسلمون، مسالمون، آمنون، وبها كثير من الجوامع والمساجد، التى يرتفع فيها ذكر الله، وتنطلق مآذنها معلنة على الملأ إن الوحدانية والعزة لله - عز وجل - وكثيرا ما تضايق الاستعمار الروسى بهذا الصوت، الذى يشق الفضاء مُعلناً «الله أكبر»، «الله أكبر» على من بغى وتجبر.

وتوجد فى هذه المدينة العديد من المدارس، والمعاهد الإسلامية، التى تقوم بنشر علوم الدين والدنيا، وتنشئة أبناء البلاد على المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامى، وفتح أعينهم على عظمته وسموه، وأنه خير الأديان، ارتضاه الله - سبحانه وتعالى - للعالمين، ومن دان بغيره فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين.

وبها جامعة عريقة عُرفت «بجامعة فلاديفقاس»، التى تنشر الوعى والثقافة، وتخرج الأجيال من أبناء البلاد، وتعدهم إعداداً جيداً

(١) مجلة المجتمع الكويتية ص ٣٠ عدد رقم (١١٣٨) ١٥ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٤ فبراير سنة ١٩٩٥م.

لحمل راية الكفاح ضد الأعداء.

ومن هؤلاء الأبناء المخلصين، الرئيس لحالى: «جوهر دوداييف»، فقد التحق بهذه الجامعة، بعد حصوله على الثانوية[1].

وقام العدو الروسى، بتدمير هذه المدينة، وهدم مساجدها، ومعاهدها العلمية، وجامعتها. وحرق وهدم أكثر من (٢٠)ألف مبنى مأهول بالسكان المدنيين، العزل.

ليس هذا فحسب، بل بلغ من وحشية القوات المعتدية، أن اغتصبت نحو (٣٠٠) فتاة، وأسر (٨ آلاف) من السكان. وتقطيع أطفال هؤلاء الأسرى، أمام آبائهم وأمهاتهم وإلقائهم إلى الخنازير، قائلين لهم فى سخرية وتهكم: «يامسلمين أنتم لاتأكلون الخنزير، وهو يأكلكم اليوم»[2].

يالها من أعمال وحشية، تقشعر لها الأبدان، وتنخلع من هولها القلوب، وتزرف الدموع من العيون دماً، حُزناً على ما أصاب إخواننا مسلمى بلاد الشاشان، على يد قوات الروس الغاشمة، التى لاترحم، ولاتعرف الرحمة سبيلا إلى قلوبهم.

٣- ستارابى أتاجى:

وتقع فى جنوب العاصمة (غروزنى)، وتبعد عنها بنحو (٣٥كم). أقام المسلمون فيها المساجد والمدارس، لنشر الإسلام، ونور العلم

(١) مجلة (الخيرية) الكويتية ص ١٧ عدد (٥٧) شعبان سنة ١٤١٥هـ/ يناير ١٩٩٥م.
(٢) مجلة المجتمع الكويتية ص ٢١ عدد (١٢٣٣) ٩ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٠ يناير سنة ١٩٩٥م.

والمعرفة، غير أن قوات الاحتلال الروسى الغادر، عندما احتلت البلاد، أغلقت مساجد ومدارس هذه المدينة، فى عملية للقضاء على الدين الإسلامى، وتجريد المسلمين من هويتهم، وقطع أى صلة تربطهم بماضيهم المجيد.

ولما وجدت سلطات الروس اصرار المسلمين على التمسك بدينهم، والتضحية بكل غال فى سبيله، قاموا بنفيهم مع آخرين من سائر مدن الشاشان إلى مجاهل «سيبيريا»، فى جو قارس البرودة، لتنفيذ مخطط إبادتهم[١]، بعد أن فشلوا فى إخراجهم من دينهم، أو تذويبهم فى المجتمع الروسى.

٤ - بِرِيغُورُو دَنُوِي :

تقع بالقرب من «غروزنى»، بنى فيها المسلمون مدارس، ومساجد لأداء الصلوات، وشعائر العبادة. يذكر مؤلفا، كتاب «المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى»: أن أشهر الجوامع، الجامع الذى أغلقته الشيوعية، إبان احتلالهم البلاد، ثم واقفت على فتحه سنة ١٩٧٨م[٢].

وهذا الجامع، كبير، ويضم مدارس للتعليم، ومكتبة للاطلاع، ونشر الثقافة والوعى الإسلاميين. ولذا وقع نظر الشيوعيين عليه لدوره الرائع فى أداء رسالته على الوجه الأكمل. ﴿**يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾[٣].

---

(١) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتى ص ١٣١، وص ١٦٩.
(٢) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون.. ص ١٢٨.
(٣) آية ٨/ الصف.

وفى إبان بطش الروس بالمساجد وإغلاق بعضها، وهدم الآخر، كان المسلمون يتخذون من بيوتهم مساجد، يعبدون فيها الله تعالى، ويذكرون فيها اسمه، يسبحون له بالغدو والآصال. بعيداً عن أعين الرقباء الروس. حيث كان القانون الروسى، يُعاقب على ذلك بشدة، ومن وُجد فى بيته نسخة من «القرآن الكريم» أُتهم بمعاداته للنظام الروسى، وكان يُقدم للمحاكمة، فيُحكم عليه بالاعدام، ولو حدث أن خُفف الحكم، يدخل غياهب السجون.

ولذا استخفى المسلمون فى أداء شعائرهم، وقاموا بتعليم أبنائهم آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف، ومبادىء الإسلام، حتى يشب هؤلاء على الدين الصحيح، وتكون لديهم قدرة على تكذيب التهم، التى يُلصقها الأعداء بالإسلام، ليصرفوا أبناءه عنه، إذ رأوا فيه قوتهم واتحادهم.

ولذا كان من نتيجة ذلك أن شب أبناء المسلمين على معرفة الدين الإسلامى، وقواعده وأصوله، ولم تُؤثر فيهم ما يسمعونه من الأعداء من صور كاذبة، عمدوا بها إلى تشويه صورة الدين الحنيف، وزعزعة أبنائه.

٥ - نوفية :

يذكرها كتاب المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى، بأنها مدينة كبيرة، تشتمل على مجموعة من القرى هى: أتاحى، ودوباى، ويورت أتشخون - مارتان، وأوروس. . . وغيرها[١].

(١) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون. . ص ١٣١.

كان فى كل من هذه القرى مساجد، يُذكر فيها اسم الله، ويُسبح له فيها المسلمون بالغدو والآصال.

واتخذ علماء المسلمون من هذه المساجد، دوراً لنشر العلوم، والثقافة الإسلامية، وبيان للناس أمور دينهم ودنياهم. فكانت منارة يشع منها نور الايمان والعلم.

وعندما اجتاح الزحف الأحمر بلاد الشاشان، واحتلها، بلغ به الحقد على مسلمى البلاد، كل مبلغ، فعطّل أداء شعائرهم، وحال بينهم وبين مساجدهم، وبين أن تؤدى رسالتها فى خدمة الدين والعلم، وتوعية الناس، وتبصيرهم بأمور الحياة. وذلك بأن أصدر قراره الظالم، بغلق دور العبادة.

ثم فى سنتى ١٣٨٨، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٩، ١٩٨٠م أمرت سلطات الاحتلال الروسى بفتح خمسة مساجد فقط فى القرى المذكورة[١]. وهذا العدد لايكفى المسلمين، حيث إنهم في زيارة مستمرة، بالإضافة إلى أن أعين الرقباء الروس، كان لا يرتد لها طرف، فإذا ما وجدت عالماً من علماء المسلمين، يلتف حوله المسلمون، وينهلون من علمه وفضله، لفقوا له التهم - وما أكثرها عند قوم لا دين لهم ولا خلاق-، وقتلوه، أو أودعوه غياهب السجون[٢].

وفى سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٨٠م كان عدد الجوامع المسموح للمسلمين بأداء الشعائر الدينية فيها، في الشاشان، سبعة فقط[٣].

---

(١) انظر بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ٢٠٨.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٩.

مما يدل على التعصب الروسى، وحقده على المسلمين والإسلام.

6- مدينة (غودرميس):

تبعد عن العاصمة (غروزنى) بـ(٥٠كم)، وهى من المدن الهامة. بها عدد من المدارس والجوامع، وجرى عليها ماجرى على مدارس وجوامع غيرها من الإغلاق، والهدم، وتحويل بعضها إلى نواد، أو اصطبلات للخيول، أو مكان للهو، أو متاحف[١].

وقد نقل الرئيس الشاشانى (جوهر دوداييف) قواته لها، حين دمَّر العدو الروسى العاصمة (غروزنى)، ومنها انطلقت قوات المجاهدين الشجعان، تناضل قوى البغى والاحتلال، وتُنزل به الخسائر الفادحة، مما دفع هذا العدو أن يفكر فى حيلة، يشل بها حركة هذه المقاومة، التي عجزت دباباته، وطائراته أن تسكتها، فعمدوا إلى حيلة من حيلهم الخبيثة الماكرة، وهى اغتيال الرئيس المسلم، حين تفقد قواته بهذه المدينة. ولكن بفضل الله - تعالى - باءت هذه الحيلة بالفشل الذريع، وحفظ المولى - سبحانه - هذا القائد المسلم، ليتم أداء رسالته، ويقود سفينة بلاده إلى بر الأمان والنجاح.

وأرادت السلطات الروسية أن تُضعف من عزيمة المجاهدين الشاشانيين، فأعلنت أنها ستدمر كل المدن، التى ينقل إليها المدافعون الشاشان نشاطهم، كما فعلوا مع العاصمة من قبل[٢].

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ١٢٤.
(٢) وردت هذه التصريحات فى جريدة «العالم الاسلامى» ص ١ عدد رقم (١٣٩٦) السنة (٣٢) ٢١ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ٢٠ فبراير سنة ١٩٩٥م.

وهذه التصريحات التى أدلى بها مسؤولون فى الحكومة الروسية، لم تزد المجاهدين إلا عزماً وتصميماً، على مواصلة الجهاد، وبذل النفس، والنفيس، لتخليص بلادهم من العدوان الغاشم، وتحريرها من تبعيته، وانتزاع الاستقلال.

وهناك العديد من المدن والقرى الشاشانية - غير التى ذكرناها - تعرضت، وتتعرض للاعتداء الوحشى الروسى، فيدمر معالمها، ويذهب بحياة الآلاف من الأبرياء. ولكن الله تعالى، وفق المجاهدين للتصدى له، والوقوف فى وجهه، وإنزال الهزائم به.

الفصل الثالث

الفتح الإسلامي لبلاد الشاشان

عرف الإسلام طريقه إلى قلوب الشاشانيين فى القرن الأول الهجرى، منذ الفتوحات الإسلامية، التي تمت فى عهد الخليفة الراشد الثانى «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - (١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م)، فقد سيّر جيشين فى سنة ١٨هـ لفتح «أذربيجان»[١]، جعل على قيادة أحدهما: «عتبة بن أبى فرقد»، والثانى: بقيادة: «بُكير بن عبد الله»، يدخلها أحدهما من «حلوان»[٢]، والآخر من الموصل[٣].

فتقدم الجيشان وسار كل إلى وجهته التى حددها له الخليفة، وتم بفضل الله - تعالى - فتح «أذربيجان»[٤]. ودخول أهلها فى الإسلام.

ثم بعث الخليفة عمر - رضى الله عنه -: «سُراقة بن عمرو» فى جيش كبير، لفتح باب الأبواب[٥] (دربند)، وتم فتحه، وأرسل سراقة البعوث لفتح البلاد المجاورة، ففتح الله على المسلمين شروان[٦]، «والداغستان»[٧]، والقومون. ودخلوا فى الإسلام. ثم

---

(١) أذربيجان: اقليم واسع، يشمل عدة مدن وقرى، كثير الخيرات، غزير المياه - ياقوت: معجم البلدان ج١ ,١٢٨.

(٢) حلوان: موضع بالعراق فى آخر حدود السواد، مما يلى الجبال من بغداد، وهى مدينة عظيمة عامرة، كثيرة الخيرات والفواكه - ياقوت: معجم البلدان ج٢/ ٢٩٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢/ ١٨.

(٤) انظر تفصيل تلك الفتوحات فى كتاب الفتوحات وأثرها فى نشر الإسلام ص ٥٧ وما بعدها للدكتور السيد محمد يونس.

(٥) باب الأبواب: مدينة على بحر قزوين، لها مزارع كثيرة، وثمار، عليها سور - انظر ياقوت: معجم ج١/ ٣٠٣، ٣٠٥.

(٦) شَرْوَانُ: مدينة من نواحى باب الأبواب، الذى تسميه الفرس: (الدَّرْبَنْد). بناها أنوشروان - ملك الفرس - فمسيت باسمه. تبعد عن باب الأبواب بنحو مائة فرسخ - ياقوت: معجم ج٣/ ٣٣٩.

(٧) الداغستان: اقليم يقع فى شرق جبال القوقاز، يحدها من الغرب جورجيا، وجمهورية الشاشان، ومن الشمال والشمال الغربى روسيا، ومن الجنوب أذربيجان. د. محمد السيد غلاب وزميلاه: البلدان الإسلامية ص ٧٤٤، سيد بكر: الأقليات المسلمة ص ٣٦٧.

توجهوا إلى بلاد الشاشان وفتحوها سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م.

وكعادة المسلمين عند كل فتح من الفتوحات، أن يتركوا جماعة من العلماء، بين أهل البلاد، يعلمون من أسلم منهم مبادىء الدين، وقراءة «آيات القرآن الكريم»؛ ويدعون مَنْ لم يسلم إلى الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، ويقيمون المساجد، لتكون منارة لنشر الإسلام وحضارته فى البلاد، ومصدر إشعاع روحى وثقافى.

وكان هؤلاء العلماء على درجة كبيرة من الفهم والوعى، والفطنة، ولديهم سعة الأفق، وقوة الحجة، وسرعة الإقناع.

وفى عهد الخليفة الراشد الثالث: «عثمان بن عفان» - رضى الله عنه - (٢٣ - ٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥م) فتح الله على المسلمين بلاد الأرمن «واللان»[1]. ودخلوا «تفليس»[2]. بقيادة، «سراقة بن عمرو».

وكان القائد المسلم «سراقة» هذا يُواجه الحملات لفتح البلاد المجاورة، ثم توسع الفتح على السواحل الغربية لبحر قزوين (الخزر)، ووصل المسلمون إلى «بلنجر»[3].

ثم ارتد أهل البلاد، فأمر الخليفة: «عثمان»: «معاوية بن أبى سفيان» - أمير الشام - أن يُسيِّر لهم جيشاً من الشام، لتأديب هؤلاء المرتدين.

---

(١) اللاّن: بلاد واسعة، وأمة كثيرة - انظر ياقوت: معجم ج١/ ٢٤٥.
(٢) تفليس: مدينة دون باب الأبواب، مسورة، ولها ثلاثة أبواب - الأصطخرى: المسالك والممالك ص ١١٠.
(٣) بَلَنْجَرُ: بفتح الباء واللام وسكون النون، وفتح الجيم، مدينة ببلاد الخزر (قزوين) خلف باب الأبواب - ياقوت: معجم ج١/ ٤٨٩.

فبعث إليهم «معاوية» جيشاً جعل على إمرته: «حبيب بن مسلم»، فوصل إلى بلادهم، وتمكن من قمع المرتدين، وإعادتهم لسلطان الإسلام، ودخل تفليس، وطلب أهل البلاد الصلح، فأجابهم إلى ذلك[1].

وقد شمل المسلمون أهل هذه البلاد، بالعطف، والرعاية، والرحمة، مما جعلهم يفضلون حكم الإسلام على غيره، كما كان لحسن معاملة المسلمين لأبناء البلاد أثرها الطيب فى اقبالهم على الإسلام يعتنقونه عن حب ورغبة.

ولما تولى الخليفة الراشد الرابع: «على بن أبى طالب» - رضى الله عنه: خلافة المسلمين (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٥ - ٦٦٠م)، ولى على أذربيجان، «سعيد بن سارية الخزاعى»، ثم «الأشعب بن قيس الكندى»[2].

ورأى الخليفة أن الفتح الإسلامى، لايستقر فى أذربيجان مادام المسلمون يفتحونها، ثم يكتفون بصلح أهلها، ويتركونها إلى بلد آخر، وعند ذلك يرتد أهلها، ويخلعون طاعة المسلمين. ورأى للقضاء على هذه الظاهرة، أن يسكن فيها جماعات بأسرهم من أهل العطاء والديوان، ليحولوا بين ارتداد الناس، ويكونوا دعاة للإسلام بينهم.

وسكن هؤلاء المسلمون بين الأذربيجيين، وبنوا مسجدها الجامع، ونزحت العشائر، مهاجرة من مصر والشام إلى هناك،

(١) البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٣٤ بتصرف.
(٢) البلاذرى: المصدر السابق ص ٤٥٨ ط دار النشر للجامعيين بيروت سنة ١٣٧٧هـ.

وعملوا على نشر الإسلام، وبيان للناس محاسنه، وفضائله، وجادلوهم بالتى هى أحسن، ووجد أهل أذربيجان فيهم العدل والوفاء، وحسن المعاملة، والسلوك الطيب، والترفع عن الدنايا، وعدم إجبارهم على ترك دينهم، واعتناق الإسلام، بل شرحوا لهم مزايا الإسلام، وتركوهم أحراراً فى أن يؤمنوا، أولا يؤمنوا، لأنه **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشدُ من الغى﴾**[1].

فأقبل كثير من أهل البلاد يعتنقونه عن رضى وإقتناع، ومالوا إلى المسلمين، وجلسوا فى حلقات الدروس فى المسجد الجامع، يستمعون منهم، وينهلون من علمهم، وثقافاتهم. يقول البلاذرى: «أن أذربيجان قد بدأت فى عهد «على» بلداً، قد غلب عليه الإسلام، فقد مُصِّر، وبُنى مسجدها الجامع، ونزحت إليها العشائر، مهاجرة، من مصر والشام»[2].

وهذا يدل على أن أغلب سكانه قد أسلموا، وحسن اسلامهم ومن ذلك نقول انه قد خضعت مناطق واسعة من القوقاز للحكم الإسلامى، ورضيت دفع الجزية، وبعضها دخل فى الإسلام، وتلك المناطق هى أذربيجان، الواقعة شرق بلاد القوقاز، وجمهورية جورجيا، وأرمينيا، وانطلق دعاة المسلمين، والتجار المسلمون إلى البلاد المجاورة ومنها بلاد القوقاز، مما يجعلنا نؤكد أن الإسلام وصل بلاد الشاشان، وغزا قلوب بعض من أهلها، وذلك فى عصر الخلفاء الراشدين. وإذا أدركنا أن أصحاب هذه البلاد كانوا يُعانون

---

(١) آية ٢٥٦/ البقرة.
(٢) فتوح البلدان ص ٤٦٠ بتصرف.

من اضطهاد أصحاب المذهب الأرثوذكسى وأنهم ما أن سمعوا عن الإسلام. إلا وقد دخل فيه الكثير منهم، باعتباره المخلص لهم مما هم فيه من اضطهاد، وتعذيب، ورغبة فى عدل وتسامح رجاله. وهذا مالم يسمعوا به، ولم يعرفوه من قبل لدى حكامهم البيزنطيين، الذين ساموهم العذاب، وعاملوهم بقسوة.

وحين قامت الدولة الأموية: ٤١٠ - ١٣٢هـ/ ١٦١ - ٧٥٠م) واصل المسلمون الفتوحات، ونشر الإسلام، فقد سيّر الخليفة: الوليد بن عبد الملك (٨٦ ٠ ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٥م) الجيوش، تفتح ما تبقى من البلاد فى منطقة القوقاز، وآسيا الوسطى، وقد ضرب القواد العظام، : «قُتيبة بن مسلم»، و«محمد ابن مروان» و«مسلمة بن عبد الملك بن مروان» المثل الأعلى فى التضحية، ومواصلة الجهاد، ونشر الإسلام.

وقد كانت معاملة المسلمين لأهل هذه الفتوحات، كريمة، وسمحة، وتقربوا منهم، وأحسنوا إليهم، مما جعل لديهم انطباعاً كريماً عن الإسلام وأهله، فلفتت تلك المعاملة الأنظار إلى الإسلام، فدخل فيه كثير منهم.

كما كانت لهذه المعاملة، أثرها فى أن وقفت بعض الأسر المسيحية فى البلاد مع المسلمين ضد البيزنطيين، الذين ساموهم سوء العذاب.

ولذا فقد فضّل سكان البلاد الحكم الإسلامى العادل، على حكم غيره الجائر. ورحبوا بوجود المسلمين بينهم، ووضعوا أيديهم فى

أيديهم، وقدموا لهم المساعدة الحقة، والمشورة المخلصة.

ولما جاءت الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م)، عمل خلفاؤها على نشر الإسلام وحضارته فى بلاد القوقاز، فأرسلوا الدعاة والعلماء، للإقامة مع سكان هذه المناطق لشرح محاسن الدين الإسلامى ومزاياه، ودعوتهم إليه. فرغب كثير من أهل الشاشان الدخول فى الإسلام، وخلعوا ما كانوا يعتقدون.

وصارت بلاد الشاشان منذ أواخر العصر الأموى ولاية تابعة للدولة الإسلامية، وزاد عدد المسلمين من أهلها فى العصر العباسى، وفيه كانت البلاد من أهم ولايات الدولة الإسلامية.

وأولى المسلمون هذه البلاد بالرعاية والعناية، فأنشأوا بها المساجد، والمدارس، وأرسلوا لهم العلماء، لتعليم من دخل منهم فى الإسلام أمور الدين الحنيف، واقرائهم آيات «القرآن الكريم»، وتحفيظهم بعض سوره، ونشر العلم والثقافة الإسلامية بينهم.

فأقبل عدد كبير من أبناء البلاد على علماء المسلمين، وتتلمذوا على أيديهم، ثم رحل منهم كثير إلى ديار الإسلام، للتفقه فى الدين، والعودة إلى بلدهم الشاشان، لنشر ما تعلموه بين أهلهم وذويهم.

ومن هؤلاء العلماء - على سبيل المثال - الشيخ الإمام: «أبو بكر محمد بن على بن اسماعيل القفال الشاشانى»، الذى رحل إلى «خُراسان»[١]، وبغداد، لتلقى العلم على علمائهما، ولما أتقن العلوم، وصار من العلماء الكبار، عاد إلى بلاده ونشر العلم فيها[٢].

---

(١) خراسان: اقليم كبير، يشتمل على كور ومدن، يحيط به من الشرق سجستان والهند، ومن الغرب جرجان، ومن الشمال: بلاد ماوراء النهر، ومن الجنوب مفازة فارس - الإصطخرى: المسالك ص ١٤٥.

(٢) ياقوت: معجم ج٣/ ٣٠٨، الحنبلى: شذرات الذهب ج٣/ ٥١، ٥٢.

وهناك كثير غيره، سوف نتحدث عنهم إن شاء الله تعالى فى الفصل الرابع: «أثر الإسلام وحضارته فى الشاشان».

ولما ضعفت الدولة العباسية، فى أواخر حياتها، تجرأت منطقة القوقاز، وأعلنت استقلالها عنها، وقامت بها حكومتان: الأولى في «تفليس»[١]، والأخرى فى «بخارى»[٢]. ثم غزا الخزر، المنطقة سنة ٤١٧هـ/ ١٠١١م ودخلوا تفليس[٣].

وحين قام السلاجقة[٤] بالسيطرة على الدولة العباسية، دانت لهم بلاد القوقاز سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٥٨م، واستمرت تحت سلطانهم حتى كان نهاية القرن الخامس الهجرى، ضعفت دولة السلاجقة، فشجع ذلك نصارى الشمال، والخزر، بالقيام بالإغارة على تفليس، والسيطرة عليها. وعُرفت البلاد منذ ذلك اليوم «ببلاد الكرج»، وتُعنى بالفارسية: بلاد القوة. وكانت حاضرتهم تفليس[٥].

واستمر الحال على ذلك، حتى اجتاح «المغول»، البلدان الإسلامية، بهجماته البربرية الوحشية، دمَّر فيها العامر، وأتلف الحضارة، ودمر الحصون والقلاع، والمزارع، ولم يأت على شىء إلا جعله كالحصيد، ثم سقطت على أيديهم بغداد - حاضرة الدولة

---

(١) سبق التعريف بها فى هوامش هذا الكتاب.
(٢) بُخارى: من أعظم مدن بلاد ماوراء النهر، بينها وبين نهر جيحون يومان؛ وكانت عاصمة السامانيين. وهى مدينة كثيرة البساتين، واسعة الخيرات، بينها وبين مرو اثنا عشر مرحلة، وبين خوارزم أكثر من خمسة عشر يوماً - ياقوت: معجم البلدان ج١/ ٣٥٣.
(٣) محمود شاكر: التاريخ الإسلامى (العهد العثمانى) ص ٣٦٦، قفقاسيا: ص ١٣.
(٤) السلاجقة: أقاموا دولة قوية، حكمت العالم الإسلامى من سنة (٤١٦ - ٧٠٨هـ/ ١٠٢٥ - ١٣٠٨م) وتمكنت من رد غارات الصليبيين - أنظر د. أحمد السعيد سليمان: الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج١/ ٣١٣ - ٣٢٢ ط. دار المعارف - مصر.
(٥) محمود شاكر: التاريخ الإسلامى ص ٣٦٦.

الإسلامية - سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٠م. وساروا نحو بلاد القوقاز، وبسطوا سلطانهم عليها.

وارتكبوا أعمالاً فظيعة، يُشيب لها الولدان، ويقشعر من ذكرها الأبدان، حتى أن المؤرخ «ابن الأثير» قد أخذته نفس تلك القشعريرة، حين وصف لنا غارات المغول، فيقول: «لقد بقيتُ عدة سنين مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أُقدِّمُ إليه رجلاً، وأُؤَخر أخرى. فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين؟!. ومن الذى يُهون عليه ذكر ذلك؟. فياليت أمى لم تلدنى، ﴿**وياليتنى متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً**﴾[1]، إلى أن حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف؛ ثم رأيت أن ترك ذلك لايُجدى نَفْعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى، التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها، عمتْ الخلائق، وخَصّتْ المسلمين. فلو قال قائل منذ خلق الله - سبحانه وتعالى - آدم وإلى الآن، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً. فإن التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا مايدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل، وتخريب بيت المقدس. وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من البلاد، التى فى كل مدينة فيها أضعاف البيت المقدس؟، ومابنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا؟، فإن أهل مدينة واحدة ممن قُتلوا أكثر من بنى إسرائيل. ولعل الخلق لايرون مثل هذه الحادثة»[2].

(١) آية ٢٣/ مريم.
(٢) الكامل فى التاريخ ج٩/ ٣٢٩ حوادث سنة ٦١٧هـ ط٢ دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ابن كثير: البداية ج٣/ ٨٦ ط٢ مكتبة المعارف بيروت سنة ١٩٧٧م.

ثم لما هدأت موجة الغزو، وثائرة المغول، وتركوا التخريب والتدمير، اللذين امتازت بهما غزواتهم، ظهروا بمظهر التسامح مع أهالى الديانات الأخرى.

وقد تنافس أصحاب هذه الديانات (الإسلام، والمسيحية، والبوذية) لتحويل أولئك الفاتحين إلى دينهم[1]. وتمكن علماء الإسلام، بفضل الله تعالى -، وبما أتوا من العلم، وقوة الحجة، وصدق النية، أن يُقنعوا قبائل المغول، فى الدخول فى الإسلام، فهدى الله منهم خلقاً كثيراً، فأسلموا[2]، وحسن إسلامهم، وانقلبوا من أعداء ألداء للإسلام، إلى دعاة ينشرونه فى البلاد، ويدافعون عنه. فسبحان مُقلِّب القلوب، ومَنْ بيده مصائر النفوس، وإليه يُرجع الأمر كله.

ولما أحس «جنكيزخان» - قائد المغول - بدنو أجله، قسم مملكته بين أولاده الأربع:

١- «أجتاى»: وآل إليه الجزء الشرقى من الامبراطورية، الذى ضم «قوبيلاى» - فيما بعد - كل أرجاء الصين.

٢- «جغطاى» وملك الجزء الأوسط.

٣- «باتو بن جوجى» ملك الجزء الغربى من الدولة، وتلقَّب بلقب (خان القبيلة الذهبية).

٤- «تولوى»: وصارت إليه بلاد فارس - التى ضم إليها

---

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٥١.
(٢) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢.

«هولاكو» - مؤسس أسرة إيلخانات المغول - جزءاً عظيماً من «آسيا الصغرى»[1].

وكثيراً ما قام الصراع بينهم على المنطقة الجنوبية، التى هى «أذربيجان»، وأدى ذلك إلى اضعاف قوة المغول، فانقسمت ممتلكات الدولة إلى إمارات صغيرة، تتناسب مع الجماعات التى تنتمى إليها.

وقام نزاع بينهم على منطقة «القوقاز»، التى كانت ميدانا للغزو.

وضاق أهل هذه البلاد بكثرة الحروب، والمنازعات، وكثرة الطامعين من أهل الإمارات الأخرى، على حساب جيرانها، وتطلع الناس إلى من يُخرجهم من هذا الضيق، الذى حلَّ بهم، فكان ذلك المخَرج على يد «الدولة العثمانية، التى قامت، وضمت كل البلاد الإسلامية إلى سلطانها، وعملت على نشر الإسلام فى بقاع كثيرة من الأرض، والحق أن لهذه الدولة دور عظيم فى زيادة مساحة الإسلام على أكبر رقعة من الأرض، ثم تصدت للدفاع عن الإسلام وحمته من المعتدين عليه، والطامعين فى احتلال بلاده. وهذا ما جعل أعداء الإسلام يتربصون بها، ويعملون جاهدين على إضعافها.

وحين قامت هذه الدولة الإسلامية العظيمة بمد سلطانها على بلاد كثيرة فى أوربا وآسيا، قامت بفتح بلاد الشاشان، ومنطقة القوقاز وضمها إلى سلطان المسلمين.

رحب أهل البلاد بالفتح العثمانى لبلادهم، ونعموا بالأمن والأمان[2].

---

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١١٦.

وقام خلفاء الدولة العثمانية الإسلامية، بمد هذه المناطق بالعلماء، لنشر الإسلام؛ وكان من سياسة خلفاء الدولة العثمانية إذا فتحوا بلداً من البلاد، قاموا بجلب إليه عدد من العلماء، الذين أتوا من العلم حظاً عظيماً، واتصفوا بسعة الأفق، وغزارة العلم، وسعة الإطلاع، ورجاحة العقل. وهذا من شأنه عمل على سرعة انتشار الإسلام في البلاد، وإقبال الكثيرين من أهلها عليه، يعتنقونه عن حب واقتناع ورغبة، فقد وجدوا ضالتهم فيه، حيث إن الإسلام دين الفطرة، التى فطر الله الناس عليها؛ ﴿**فطرت** الله **التى فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق** الله**، ذلك الدين اَلقيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾[1].

هذا بالإضافة إلى اقناع العلماء والدعاة لهم، بأن الإسلام، دين ونظام حياة، وهو خير الأديان، وقد ارتضاه الله - تعالى - ديناً للعالمين. قال تعالى: ﴿**إن الدين عند** الله **الإسلام**﴾[2]. وقال مُحذراً من يعتنق غيره من الأديان، بأنه لا يُقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين. بقوله سبحانه: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾[3].

وكعادة العثمانيين، عندما يفتحوا بلداً، يقومون ببناء الجوامع والمساجد، والمدارس، لنشر علوم الدين، والدنيا، والثقافة الإسلامية. ولذا فقد انتشر الإسلام وحضارته فى البلاد.

---

(١) آية ٣٠/ الروم.
(٢) آية ١٩/ آل عمران.
(٣) آية ٨٥/ آل عمران.

ورأت «روسيا» ذلك فأكل الحقد قلبها، كما أكل قلوب كثيرين من الدول الغربية، وماتوا بغيظهم، وحاول الروس أن يقللوا عدد المسلمين فى بلاد الشاشان، والقوقاز، فأرسلت مبشرين روس، إلى شمال القوقاز، بقصد اجتذاب الناس إلى النصرانية، وكسب أعوان لهم هناك.

غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل، فقد تمكن العثمانيون من وقف تقدم المسيحية. وكانت بعض القبائل المسيحية فى حالة تردد بين دينها، وبين اعتناق الإسلام، وأخيراً فضلت الدخول فى الإسلام، وخلعت من أعناقها دين النصرانية[1].

وهذا لما رأته فى الإسلام من المثل العالية، والأخلاق الفاضلة، وحسن معاملة أصحابه لأهل البلاد، وترفع المسلمين عن الدنايا، فلا يرتكبون جُرماً، ولايُسيئون إلى أحد من الرعية، الكل عندهم سواء، (مسلمين وغير مسلمين).

وهذا ما حبب هذه الأسرة النصرانية الدخول فى الإسلام، وترك عبادتهم السابقة، فسلوك المسلمين الطيب، وتمسكهم بالقيم والمبادىء الإسلامية، تجعل كثيرين يرغبون فى اعتناق الإسلام.

ولم يُثن «روسيا» فشلها فى نشر النصرانية فى بلاد الشاشان، بل أرسلت قساوسة آخرين لترغيب الناس فى الإرتداد عن الإسلام، فقامت الدولة العثمانية بإرسال عدد من رجالاتها، ودعاتها المخلصين، - كان على رأسهم ضابط يسمى«فرح» - إلى منطقة القوقاز، لنشر الإسلام، وتأسيس مركز للدعوة الإسلامية فى منطقة

---

(١) ينغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٣، ١٤.

(أنابا) - بالقرب من بحر آزوف - .

فقام أفراد المجموعة بعمل صلات مع القبائل الموجودة فى المنطقة، وتزوج الضابط «فرح» من ابنة أحد الزعماء، وتم الزواج فى احتفال كبير، وموكب عظيم.

وصنع معظم أفراد الحملة التى معه، مثل ماصنع، وحذوا حذوه، وبذلك ارتبطوا بروابط النسب مع أهل المنطقة، وخالطوهم، ونشروا الإسلام بينهم، كما أن أبناء هذه المنطقة التقوا بالمسلمين، وسمعوا منهم، ورأوهم وهم يصلون، وعرفوا عنهم صدق الكلمة، وحسن النية، والسلوك الطيب. وهذا ماشجع الكثير منهم إلى الدخول فى الإسلام.

فأرسل رئيس الحملة (الضابط فرح) إلى القسطنطينية - عاصمة الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت - يطلب من الخليفة، امداده بعدد من علماء الدين، حتى يتولوا تعليم هؤلاء الداخلين فى الإسلام، مبادىء الإسلام، وتحفيظهم آيات «القرآن الكريم»، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام -، وتعليمهم كيفية الوضوء، والطهارة، والصلاة.

يتحدث كاتب غربى مسيحى، عن هذه الواقعة بقوله: «ويظهر أن الذين انحازوا إلى الولاية التركية من الجراكسة - يقصد سكان منطقة أنابا -، كانوا قد أظهروا استعداداً عندما تركوا معتقداتهم الوثنية، فى سبيل الدين، الذى نزل به «القرآن».

«وقد عكف العلماء على تفقيه حديثى العهد بالإسلام، ولم يكن

بد من أن يطلبوا مدداً من القسطنطينية، لتثقيف جموع الداخلين في الإسلام، الذين كان عددهم يزداد شيئاً فشيئاً»[1].

وعلى الرغم من أن إعتناق دين يُخالف الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، يُعد أمراً محرماً في القانون الروسى، إلا أن هؤلاء الداخلين في الإسلام تحملوا اضطهاد، وتعذيب الروس لهم، وتمسكوا بالإسلام، وزاد عدد الداخلين في الإسلام باستمرار، لدرجة أزعجت رجال الكنيسة الأرثوذكسية، وأخذ منهم الخوف كل مأخذ.

يقول أرنولد: «دخل جموع كثيرة في الإسلام، بلغ من ضخامتها أن رجال الكنيسة الأرثوذكسية قد أخذ الخوف منهم كل مأخذ، حتى أقاموا جمعية خاصة، تقوم بتوزيع منشورات دينية بينهم، أملاً في مناهضة النفوذ الإسلامى»[2].

وهكذا فقد كان الفتح العثمانى لمنطقة القوقاز، خيراً وبركة على أهلها، الذين آثروا الإسلام على غيره نهائياً.

وظل مسلمو الشاشان ينعمون في ظل الدين الإسلامى بالأمن والأمان، والعدل والرفاهية، حتى قامت «روسيا» بالغزو، وابتلاع بلاد المسلمين، بما فيها منطقة القوقاز، وبلاد الشاشان.

وحكموا هذه الشعوب حكماً استبدادياً، بالحديد والنار، فقد صادروا الحريات، وحاربوا الأديان، ولاسيما الدين الإسلامى، واضطهدوا العلماء، وزجوا بهم في غياهب السجون، وإلصاق التهم بهم.

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢١.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٢.

كما حرموا أبناء البلاد من نور العلم والمعرفة، فهدموا مساجدهم ومدارسهم ومعاهدهم العلمية، وفرضوا لغتهم على مناهج التعليم فى محاولة لترويس أهل البلاد، وربطهم بروسيا نهائيا. .

وكذلك نهبوا خيرات البلاد وثرواتها، وتركوا أهلها فى فقر، وبؤس وحاجة.

وسوف نفصل ذلك فى الفصل السادس: «نظام الحكم الروسى فى الشاشان» - بإذن الله تعالى، وبعونه وتوفيقه.

الفصل الرابع

أثر الإسلام وحضارته في الشاشان



شق الإسلام طريقة إلى قلوب أهل الشاشان، منذ الفتوحات الإسلامية، فى عصر الراشدين، ورحب أهل الشاشان وارتضوا حكم المسلمين العادل، على حكم البيزنطيين الجائر. فقد وجدوا فى المسلمين، نبل الهدف الأسمى، والغاية المثلى، فلم يكن هدفهم امتلاك ثروات، أو أراضى، أو غير ذلك من متاع الدنيا الفانى. وإنما كان هدفهم الأسمى، إيصال دعوة الحق، والهدى والرشاد إلى الناس، وتحريرهم من عبادة العباد، إلى عبادة خالق العباد، وإخراجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها، وتخليص البلاد من غاصبيها، وإعطائها إلى أبنائها، والأخذ بأيديهم إلى التحضر والرقى.

كما وجدوا أن المسلمين يختلفون عن حكامهم السابقين، فقد خضعوا لحكم الرومان، وذاقوا ألوان الاضطهاد والتعذيب، للاختلاف معهم فى المذاهب، فأهل الشاشان دانوا بالمذهب الذى ينادى بالطبيعيتن، للسيد المسيح عليه السلام-: إلهية وبشرية. وأخذ الحكام الرومان بالمذهب المنادى بالطبيعة الواحدة. ونتج عن ذلك الاختلاف أن صب الحكام جام غيظهم، وحقدهم على أهل الشاشان، وأذاقوهم صنوف العذاب.

أما المسلمون فتركوآ أهل الشاشان أحراراً فى أن يؤمنوا أولا يؤمنوا، لأنه ﴿**لاإكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغى**﴾[1]. فلن نسمع أو نقرأ فى المصادر والمراجع المنصفة، التى تتحدث عن الفتوحات الإسلامية، إشارة من قريب، أو بعيد إلى أن هناك فرداً

(١) من آية ٢٥٦/ البقرة.

أسلم، أو أمة أسلمت، وعلى رقابها السيف. فالإسلام دين قلبى، ولاسلطان لأحد على القلوب إلا الله - سبحانه وتعالى -.

أما أصحاب الديانات الأخرى، فكانوا يُجبرون الناس على ترك دينهم، واستعمال الشدة والقسوة فى ذلك.

وكل الذى كان يفعله المسلمون الفاتحون، أنهم كانوا يُوضحون للناس مزايا الإسلام، ومحاسنه، وسماحته، وعدله، ومساواته بين جميع الناس، رعية وحاكمين، وأنه خير الأديان. جاء لسعادة البشرية، والنهوض بها إلى أرقى المستويات، وتحقيق الخير، والعدل، والسلام، والأمن. ثم يتركون أهل البلاد المفتوحة أحراراً **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[1]. فكان أبناء البلاد هم الذين يُقبلونَ على الإسلام، يعتنقونه بنفس راضية، وقلب منشرح.

وهكذا وجد أهل الشاشان أن المسلمين يختلفون تماماً عن حكامهم السابقين، فلاإكراه لأحد على ترك دينه، ولا قتل ولا مصادرة ثروات، بل غمرهم المسلمون بكرمهم الوفير، وأحسنوا إليهم. لهذا مال الشاشانيون إلى الإسلام، وتقربوا من المسلمين، وارتضوا حكمهم على غيره. وقد سمعوا عن الإسلام وعدله بين رعاياه من أصحاب البلاد المجاورة كأذربيجان وغيرها، وأنه دين سمح، يسموا بالإنسان ويكرمه، وسمعوا عن عدل رجاله الفاتحين، وحرصهم على نهضة البلاد المفتوحة، والعمل على رقيها.

واتجه المسلمون فى اصلاح وتعمير البلاد، والنهوض بالمستوى

(١) من آية ٢٩/ الكهف.

المعيشى لأبنائها، فقد تركوا الأرض فى يد الشاشانيين، ليزرعوها، فهم لديهم الخبرة، والدراية بنظم زراعاتها، وطرقها من رىّ وصرف وغيره.

وهذا ما جعل المزارعون الشاشانيون ينعمون بثمار كدهم وجهدهم. أما النظام البيزنطى السائد من قبل، فكان قاسياً للغاية، حيث يأخذ النبلاء والأمراء ناتج الأرض كله، ولايتركون للفلاحين شيئاً، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعاملونهم كعبيد للأرض.

ويُبين أحد الباحثين المسيحيين الغربيين، الفرق الواضح بين حال الفلاح تحت الحكم الإسلامى، وأخيه تحت الحكم المسيحى، فيقول: «لاشك أن الولايات التابعة للدولة الإسلامية كانت أحسن حُكماً، وأكثر رخاءً من معظم جهات أوربا المسيحية. وأن جمهرة السكان المسيحيين، الذين اشتغلوا بزراعة الأراضى، كانوا ينعمون بقدر كبير من الحرية الشخصية، كما كانوا ينعمون بثمار جهودهم فى ظل حكومة الإسلام، أكثر مما كان ينعم معاصروهم فى ظل كثير من الحكام المسيحيين»[١].

وإذا كان المسلمون قد تركوا الأرض الشاشانية فى يد فلاحيها لزراعتها، فقد أسندوا إلى كثير من الأهالى إدارة البلاد، واستعانوا بهم فى إدراتها، فصاحب البلد أدرى بإدارة بلده من غيره. وأعلم بالأمور التى تؤدى إلى الرقى والتقدم. يذكر كاتب غربى مسيحى: «أن المسلمين سلموا العمليات المالية، والتجارية، لرعايهم من غير المسلمين»[٢].

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٧٤، تعريب د/ حسن ابراهيم حسن وزميلاه.
(٢) بول كولمز: العثمانيون فى أوربا ص ٢٠١ تعريب د/ عبد الرحمن عبد الله الشيخ.

ونتج عن إشراك أبناء البلاد فى إدارة بلادهم، وتمثيلها، أن شعروا بكرامتهم، وبحريتهم، فوضعوا أيديهم فى أيدى المسلمين، وقدموا لهم المعونة الصادقة، والمشورة النافعة، من أجل نهضة البلاد وتحضرها.

الحرية الدينية لأهل البلاد:

ترك المسلمون أبناء البلاد يباشرون شعائرهم الدينية، وطقوسهم فى حرية تامة، دون تدخل منهم، فلم يُجبروهم على ترك ما يعتقدونه. بل كان المسلمون يشاركونهم فى أعيادهم.

وكانت هذه الأعياد تُقام علناً، وفى احتفال مهيب. وهذا يدل على روح المحبة، والود والتآلف، التى ربطت بين أهل الشاشان جميعا (مسلمين وغير مسلمين).

وأن المسلمين عاملوا أهل البلاد معاملة حسنة كريمة، وتودد إليهم، وتقربوا منهم، ولم يُجبروهم على ترك دينهم، وإنما تركوهم أحراراً، يختار كل إنسان منهم لنفسه الهداية أو الضلالة ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**﴾[1].

إنتشار الإسلام:

انتشر الإسلام بين الشاشانيين فى سرعة عجيبة، ينتقل من إنسان لآخر، ومن أمة لأخرى، ما أن لمس شغاف قلب إنسان إلا وملك

(١) آية ١٤، ١٥/ القيامة.

عليه كل حياته، وصار أغلى من كل شيء، حتى نفسه التى بين جنبيه، يُضحى فى سبيله بكل نفيس وغال.

كما أنه دين سهل، يسر، واضح لا تعقيد فيه، يطلب من الداخل فيه أن ينطق بالشهادتين، فإن نطقهما، صار من المسلمين، وأخاً لهم، له مالهم، وعليه ما عليهم من الحقوق والواجبات، وإن احتاج شيئاً، كان على المسلمين أن يعطوه، وإن تعرض لسوء، كان عليهم أن يتعاونوا لرفع الضُّر عنه.

وهو دين يطلب من الإنسان أن يتصل بخالقه مباشرة دون واسطة. قال - عز من قائل - : ﴿**ادعونى أستجب لكم**﴾[1].

وإن وضوح الإسلام، وما أمر به من العدل، والاحسان، ساعد كل المساعدة فى انتشاره فى العالم، فما أن آمنت به أمة، فإنه يستحيل عليها أن تتركه أبداً. وهذا هو «السبب فى عدم تنفر أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا»[2].

وقد كان لعدل رجال الإسلام، وتخلقهم بالأخلاق الحسنة، ومعاملتهم أهل البلاد بالحسنى وزيادة، وعدم مساسهم بأموال، وثروات أهل البلاد، أثر كبير فى اعتناق كثير من أهلها الإسلام، لأن غاية الفاتحين من فتوحاتهم، لاثروات، ولا ممتلكات، ولا دنيا يُصيبونها، بل هداية الناس إلى الطريق المستقيم. وابتغاء مرضاة الله، والدار الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

ولذا فقد أقبل أهل البلاد على الإسلام، فى زيادة مستمرة، حتى

(١) من آية ٦٠/ غافر.
(٢) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ١٢٥ ترجمة عادل زُعيتر.

صار الإسلام دين الأغلبية فى الشاشان. وهذا ما أفزع السلطات الروسية، فأرسلوا مبشرين روس إلى شمال القوقاز، لنشر المسيحية بين أهلها. رفض كثير من الناس أن يسمع منهم، ويترك دين الإسلام، حتى أن بعض الأسر المسيحية فى البلاد، آثرت الإسلام نهائيا[١].

وهكذا فضل الشاشانيون الإسلام على غيره من الأديان، لما رأوا فيه من العدل، والمساواة بين الناس جميعاً، يقول الله - تعالى -: **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[٢].

ويقول الرسول - ﷺ: **«لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى»**[٣].

دور العلماء فى نشر الإسلام فى الشاشان:

كان للعلماء دور عظيم فى نشر الإسلام فى بلاد الشاشان، حيث نزلها جماعة كبيرة من أهل العلم والفضل، ومن الذين أتاهم الله الحكمة وفصل الخطاب، فدعوا الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلوهم بالتى هى أحسن، وأقنعوهم بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، وفتحوا أعينهم على حقيقة الإسلام، أنه دين ونظام حياة، ففيه سعادة البشر فى الدارين: الدنيا والآخرة.

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢، ١٣.
(٢) آية ١٣/ الحجرات.
(٣) الإمام أحمد بن حنبل: فى مسنده ج٤/ ١٤٥، ١٥٨.

وأنه جاء ليخرج الناس من ظلام الجاهلية، والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، بخالق الأرض والسماء، ورازق الناس جميعاً، ومتولى أمرهم. كما جاء ليحرر الإنسان من عبودية الإنسان، ويجعله عبداً خالصاً لله - عز وجل - «ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»(١).

فأقبل الشاشانيون على الإسلام جماعة وفُرادا، باختيارهم وباقتناعهم «فلم يتبع المسلمون فى أى وقت سياسة الإكراه، على الدخول فى الإسلام، وأن من غير الممكن فى المدن، وأن يُغير الناس دينهم»(٢).

«وأن القوة لم تكن عاملاً فى انتشار الإسلام، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً فى أديانهم. فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية: الإسلام، واتخذوا اللغة العربية، لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين، مالم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة، التى لم يعرفوها من قبل.

وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس المسلمين، فضَّل هؤلاء القتل، والطرد عن آخرهم، على ترك الإسلام»(٣).

وقد تحول كثير من البطارقة، وأسقافة الكنائس إلى الإسلام،

---

(١) أنظر الطبرى: تاريخ الرسل ج٣/ ٢٥٠ ط دار المعارف - مصر، وابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٢/ ٤٦٢ ط. دار صادر بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) محمد فؤاد كوبرلى: قيام الدولة العثمانية ص ١٣٥ تعريب د. أحمد السعيد سليمان. ط. هيئة الكتاب - مصر سنة ١٩٩٣م.

(٣) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ١٢٧، ١٢٨.

ليس فى الشاشان، بل فى سائر مناطق آسيا الوسطى والقوقاز، والتى كانت تحت سيطرة الحكم البيزنطى. فيذكر باحث غربى مسيحى، أن بطريرك خُراسان، وأذربيجان، وجورجيا، وأسيتيا، تحولوا إلى الإسلام[1]. وبالطبع تبعهم خلقٌ كثير من أتباعهم، فالناس على دين ملوكهم.

وهذا التحول - كما يذكر أرنولد -، أن المسلمين شملوا أصحاب البلاد، بالمعاملة الحسنة الكريمة، والتسامح الدينى، الذى رخص لهم، وما تمتعوا به من حماية لحياتهم، وأموالهم، جعلهم يُسرعون فى الموافقة على تغيير سادتهم، وإيثار سيادة المسلمين على سيادة أية سلطة مسيحية. وكان المسلمون فى بقاع كثيرة من الدولة، يلقون ترحيباً من جانب الاغريق، ويُعدونهم مُخلصين لهم من الحكم الظالم المستبد[2].

وعندما أرسلت «روسيا» مُبشرين روس، إلى شمال القوقاز، وشيدت كنائس فيها، لحمل الناس على التنصير، فتصدت لهم الدولة العثمانية الإسلامية، وأرسلت العلماء إلى هذه البلاد، فتمكنوا من وقف تقدم المسيحية، وآثرت قبائل كثيرة مسيحية الدخول فى الإسلام[3].

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٠، ١٢١.
(٢) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٧٢.
(٣) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢.

المساجد والمدارس:

بعد أن انتشر الاسلام فى بلاد الشاشان، أقام المسلمون المساجد والمدارس، لنشر الدعوة الإسلامية، وتدريس علوم الدين والدنيا. وبيان للناس عظمة الإسلام، وعدله بين الجميع، وسماحته التي تسع الكل.

وهذه المدارس، والجوامع انتشرت فى القرى والمدن، لتعليم مَنْ يدخل من أهل البلاد فى الإسلام، أمور الدين، وشعائر الصلاة، وكيفية الوضوء، وتحفيظهم آيات «القرآن الكريم»، وبعض سوره.

وقام بالتدريس فى هذه المدارس والجوامع، علماء الإسلام، الذين كانوا على درجة عالية من الفهم، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، وقوة الحجة، وبلغوا فى العلم مبلغاً عظيماً، وفهموا روح الإسلام. ولذا عندما كانوا يتصدرون حلقات الدرس فى الجوامع، أو المدارس، فيقبل عليهم أعداد كبيرة من أبناء البلاد، يستمعون منهم، وينهلون من عملهم ومعارفهم.

وكان أولو الأمر فى الدولة الإسلامية يهتمون بإرسال العلماء الكبار إلى البلاد المفتوحة، ومن هؤلاء السلطان: «محمد الفاتح» عندما كان يسمع عن عالم، بلغ شهرة عالية، إلا ويُرسل إليه، ويعهد إليه بالتدريس، وتعليم المسلمين أمور الدين، ولاسيما أبناء البلاد المفتوحة، حيث إنهم فى حاجة إلى علماء، على درجة عالية من الفهم الواسع، والحجة القوية، وسعة الصدر، ورجاحة العقل، للإجابة عن أسئلتهم، وإقناعهم بالحجج الدامغة، والأدلة المقنعة.

وكان من العلماء، الذين تولوا التدريس فى مساجد ومدارس الشاشان: الشيخ الإمام: أبو بكر محمد بن على بن اسماعيل القفّال الشاشى، الذى أسلم على يديه الكثير من الشاشانيين، وكانت له جهود علمية عظيمة، فى أن تخرج على يديه العديد، والعديد، ومن الذين رووا عنه: الحاكم، وأبو عبد الرحمن السلمى.

وكان له فضل فى نشر المذهب الشافعى فى بلاد الشاشان، وكان حجة فى الفقه الشافعى، والتفسير، واللغة، والحديث الشريف[١].

وكان نظام الدراسة يتم وفق الخطة التعليمية، التى تسير عليها الدولة الإسلامية، فكان التلميذ يلتحق بالكتاتيب الملحقة بالجوامع، أو المدارس الإبتدائية، ليتعلم القراءة والكتابة[٢]، والحساب، والخط، والإملاء، وتحفيظه آيات «القرآن الكريم»، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة.

ويجرى للتلميذ - بعد إتمام هذه المرحلة - امتحان دقيق، فإن وُفق فيه، نُقل إلى المرحلة التالية، التى تشتمل على مناهج دراسية، تُناسب عقله، وقدرته على فهمها، ثم ينتقل إلى مرحلة تالية.

والعلوم التى كانت تدرس فى هذه المدارس: الفقه، والتفسير، والحديث، والنحو، والصرف، والحساب، والمنطق، والبلاغة، والهندسة[٣]. مع ملاحظة أنه كان يُختار لكل مرحلة، ما يناسب عقل المتعلم وسنَّهُ.

---

(١) ياقوت: معجم البلدان ج٣/٣٠٨، د. محمد على البار: المسلمون فى الإتحاد السوفيتى ج٢/٥١٨.

(٢) محمد فؤاد كوبرلى: قيام الدولة العثمانية ص ١١٠.

(٣) محمود شيت خطاب: بين العقيدة والقيادة ص ٤٥٠.

وكان الإمتحان يُجرى للطالب تحت إشراف كبار المعلمين، فإن اجتازه، نُقل إلى المرحلة التالية له.

وأقبل أبناء البلاد على المدارس، فنهلوا من علوم المسلمين، واستفادوا من خبرة علمائهم، وباعهم الطويل فى العلم والمعرفة، حيث قرأ المسلمون كتب السابقين، واستفادوا منها، وأضافوا إليها، وصححوا ماوقع فيه السابقون من أخطاء، وترجموا هذه المؤلفات إلى اللغة العربية، وألَّفوا الكتب فى مختلف العلوم والفنون، «واستخدموا التجارب العلمية فى البحث والدرس، وبذلك يرجع لهم الفضل فى إبتكار طريقة حديثة للتعليم والمناهج العلمية، قبل أن تعرفها أوربا بألف سنة»[1].

كما كان للمكتبات التى أقامها المسلمون دور عظيم، فى نمو الحركة العلمية والفكرية بين الشاشانيين، فقد أُلحق بكل مسجد، أو مدرسة مكتبة عامرة بالكتب، والمؤلفات فى فروع العلم المختلفة. وكان لكل تخصص، أو فن ركن خاص به فى المكتبة، قاصر عليه، حتى يسهل عملية البحث والدرس، التى يقوم بها رواد المكتبة، من أساتذة، وطلاب، وغيرهم من محبى الثقافة والعلوم.

وكان لكل مكتبة مجموعة من العاملين، الذين يقومون بأمرها، ويشرفون على إدارتها، من عمال، لخدمة الرُّواد، وإداريين، وأمين، يُختار من أهل العلم والصلاح والتقوى، لديه خبرة بأسماء الكتب، والمؤلفين. ويقوم بإعارة المدرسين والطلاب ما يحتاجون إليه من الكتب، بطريقة منظمة، ويُسجل أسماء الكتب المستعارة،

---

(١) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٣٤.

فى سجل خاص. وهذا الأمين مسؤول عن الكتب، التى فى عهدته، بل مسؤول عن سلامة أوراقها[١].

وحمل العلماء على عاتقهم مهمة تعليم الشاشانيين، وأبنائهم تحفيظ «القرآن الكريم»، وأحكام تلاوته، والثقافة الإسلامية فى المدارس، التى انتشرت فى أنحاء البلاد.

وكان يتخرج منها: أئمة الجوامع، والمؤذنين، والمدرسين، الذين يتولون التدريس في المدارس؛ إلى جانب القضاة، والفقهاءوالعلماء.

ويُوجد الآن فى جمهورية الشاشان الإسلامية، عدد من المدارس، والمعاهد العلمية، وجامعتان: «جامعة البترول»، وتُعد أقدم جامعة فى العالم، أُقيمت فى العاصمة (غروزنى). ويلتحق بها عدد كبير من الطلاب، بعد أن يجتازوا المرحلة الثانوية.

«وجامعة فلاديفقاس»، التى أقيمت فى مدينة «فلاديفقاس»، وسُميت باسمها، وفى هذه الجامعة أتم الرئيس الحالى (جوهر دودايف) تعليمه الجامعى[٢]، ثم التحق «بأكاديمية الطيران» فى «جورجيا»، وتخرج منها برتبة (جنرال)، ويُعتبر أول شاشانى برتبة «جنرال» فى الجيش الحربى الروسى[٣].

---

(١) محمود شيت خطاب: بين العقدة والقيادة ص ٤٥٠.
(٢) مجلة (الخيرية) الكويتية ص ١٧ عدد (٥٧) شعبان سنة١٤١٥هـ/ يناير سنة ١٩٩٥م.
(٣) مجلة «المجتمع» الكويتية ص ٢٨ عدد رقم (١١٣٨) ١٥ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٤ فبراير سنة ١٩٩٥م.

أشهر علماء الشاشان :

نبغ من الشاشانيين علماء، وأدباء، كان لهم فضل كبير فى نشر العلم والمعرفة بين الناس، من هؤلاء :

١ - العالم الكبير، والفقيه المحدث : «أبو بكر محمد بن على بن اسماعيل الشاشانى» - المشهور بالقفّال الكبير - . وُلد بالشاشان سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م؛ اشتغل فترة بصناعة الأقفال، ثم عكف على طلب العلم فى المدارس والجامعات المفتوحة . فى المساجد، ونهل من علم، علماء المسلمين، وشرب من معينهم الصافى، فتحول من صانع أقفال ماهر، إلى صانع الرجال، وكما تفنن فى طَرْق الحديد، تفنن فى طُرق الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة العربية . . . وغير ذلك من العَلوم .

ثم رغب فى الاستزادة فى العلوم، والتفقه فى الدين، فرحل فى طلب العلم إلى «خُراسان»، ثم إلى «بغداد»، - حاضرة الدول الإسلامية - فى ذلك الوقت - ومُلتقى العلماء، والأدباء، وأرباب الفصاحة والبيان، فسمع منهم، وتعلم على أيديهم .

ولما آنس من نفسه رشداً، وعلم أنه صار فى حالة تؤهله للفتيا، والحديث، والفقه، عاد إلى بلاده الشاشان، وصار العالم الأوحد فى الفقه الشافعى، والتفسير، والحديث، واللغة[١] .

سمع الحديث الشريف من أبى عروبة، وأبى بكر بن خزيمة، ومحمد بن جرير الطبرى، وأبى بكر الباغندى، وأبى بكر بن دريد .

وأخذ الفقه عن ابن سُريح[٢] . وقال عنه الحليمى - أحد تلاميذه :

(١) ياقوت : معجم البلدان ج٣/ ٣٠٨ .
(٢) ابن الخطيب : الوفيات ص ٢١٢ - تحقيق عادل نُويهض .

«كان شيخنا القفّال أعلم من لقيته من فقهاء عصره»[١]. وقال عنه العبادى: «كان القفال أفصح الأصحاب قلماً، وأثبتهم فى دقائق العلوم قدماً، وأسرعهم بياناً، وأثبتهم جناناً، وأعلاهم إسناداً، وأرفعهم عماداً»[٢].

وروى عنه: الحاكم أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن السلمى، والحليمى، وابن مندة وغيرهم[٣].

وترك لنا القفال مؤلفات كثيرة، منها: «أصول الفقه»، وكتاب «محاسن الشريعة»، وكتاب «شرح رسالة الشافعى»، وكتاب «أدب القضاة»[٤].

وبعد حياة حافلة بالعلم والتفقه فى الدين، لقى الشيخ القفال ربه، سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م، فجزاه الله خيراً بما صنع.

٢- الإمام «أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشانى، القفّال، الملقب بفخر الإسلام.

وُلد بقرية «ميافرقين» - من أعمال «الشاشان» سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٢٧م. تلقى تعليمه على يد علماء الشاشان، ثم رحل إلى «خُراسان» للتزود من علم علمائها فى بغداد - عاصمة الدولة الإسلامية، وفى مدنها الشهيرة: البصرة، والكوفة، التى اشتهرتا بكثرة العلماء والأدباء.

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٣/ ٥١.
(٢) ابن الخطيب: الوفيات ص ٢١٢.
(٣) ياقوت: مصدر سابق ج٣/ ٣٠٨، الحنبلى: شذرات الذهب ج٣/ ٥٢.
(٤) ابن الخطيب: الوفيات ص ٢١٢ص.

وأظهر نبوغاً وتفوقاً، لفت إليه أنظار مشايخه، فأسندوا إليه التدريس فى المدرسة «النظامية» ببغداد، أشهر جامعات العالم - فى ذلك الوقت -، وصارت إليه رياسة الشافعية بمدن العراق جميعاً[١].

وكان مهيباً، وقوراً، متواضعاً، ورعاً، ويلقب بين طلابه بالجنيد، لشدة ورعه. وله شعر حسن، ومنه ذلك البيت، الذى أقرضه، عندما صارت إليه رياسة الشافعية:

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردى بالسؤدد[٢]

وكان له من المؤلفات: كتاب «حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء» فى مجلدين، صنفه للخليفة «المستظهر[٣] بالله»، ولذلك لُقب بالمستظهرى. وكتاب «المعتمد». وكتاب «الشافى، شرح مختصر المزنى»، استوفى فيه أقوال الشافعى، ووجوه أصحابه، وأقوال الفقهاء، وذكر لكل مقالة حجة[٤]. وكتاب «الطلاق». وكتاب «الشافى شرح كتاب الشامل». لشيخه «أبى نصر بن الصباغ»، قام بشرحه فى عشرين مجلداً.

وكانت وفاته سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٤م بعد أن نشر العلم تدريساً، وتعليماً، وتأليفاً، وخطابة. ودُفن إلى جوار شيخه أبى اسحاق

(١) الحنبلى: شذرات الذهب ج٤/ ١٧.
(٢) الحنبلى: شذرات الذهب ج٤/ ١٧.
(٣) تولى الخلافة العباسية من سنة ٤٨٧ - ٥١٢هـ/ ١٠٩٤ - ١١١٨م.
(٤) الصفدى: الوافى بالوفيات ج٢/ ٧٣ ط٢ باعتناء هلموت ريتر، نشر لجنة المستشرقين الألمانيين سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

الشيرازى» - صاحب «التنبيه والمهذب»[١].

٣- الإمام «أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد القفّال المَرْوَزَىّ المشهور بالقفّال الصغير، تمييزاً له عن القفال الكبير، وهو (محمد ابن على بن اسماعيل) - صاحب الترجمة رقم (١) فى هذا البحث -

وُلد بالشاشان، واشتغل بصناعة الأقفال، مدة طويلة، ولما بلغ الثلاثين من عمره، طلب العلم، وتفقه على علماء الشاشان، ثم رحل إلى الأمصار الإسلامية الأخرى، للتزود من علم علمائها، واستمر يتنقل بينها، ويأخذ عن علمائها مدة طويلة، حتى بلغ فى العلم مبلغاً كبيراً، وصار من أعلام الشافعية فى العراق، ثم فى مصر.

قال عنه الفقيه: «ناصر العمرى»: «لم يكن فى زمان أبى بكر القفّال أفقه منه، ولايكون بعده مثله. وكنا نقول: إنه ملك فى صورة إنسان»[٢].

وقال عنه السمعانى: «أبو بكر القفّال، وحيد زمانه: فقهاً، وحفظاً، وورعاً، وزهداً. وله فى المذهب من الآثار ماليس لغيره، من أهل عصره. رحل إليه الفقهاء، وتخرج على يديه أئمة»[٣].

وقال عنه ابن قاضى شهبه: «لقب الإمام المروزى بالقفال، لأنه كان يعمل الأقفال فى ابتداء أمره، وبرع فى صناعتها. فلما كان ابن

---

(١) الحنبلي: مصدر سابق ج ١٧/٤، د. محمد على البار" المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/٥١٨, ٥١٩.
(٢) الحنبلى: شذرات الذهب ج٣/ ٢٠٨.
(٣) الحنبلى: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ثلاثين سنة أحس من نفسه ذكاء، فأقبل على الفقه، فاشتغل به على الشيخ : أبى زيد وغيره، وصار إماماً يُقتدى به . وتفقه على يديه خلقٌ من أهل «خُراسان»، وسمع الحديث وحدّث، وأملى»[1].

وقال عنه الصفدى : «كان يُضرب به المثل فى قوة الحفظ، وقلة النسيان. وهو من كبار أصحاب القفّال»[2] - يقصد أنه كان من تلاميذه النجباء.

وتُوفى بمصر سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، ودُفن عند قبر الإمام الشافعى[3].

٤- الشيخ «أبو الحسن على بن الحاجب الشاشانى»: كانت ولادته ببلاد الشاشان، ثم تلقى مراحل تعليمه على علماء الشاشان، ثم رحل فى طلب العلم إلى خُراسان، والعراق، والشام، والحجاز. وتفقه على علماء هذه الأمصار، ثم عاد إلى بلاده، يُعلِّم الناس، ويتولى مهنة التدريس.

وظل أبو الحسن يُعلم أبناء بلاده العلم، ويفقههم فى الدين حتى توفى[4].

٥- الشيخ (أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الشاشانى»: وُلد بالشاشان، ونشأ بها، وتعلم على يد علمائها، ثم رحل إلى البلاد الإسلامية، لطلب العلم، وانتهى به المطاف إلى مصر، حيث

---

(١) الحنبلى : المصدر السابق ج٣/ ٢٠٨ .
(٢) الوافى بالوفيات ج٢/ ٧٢ .
(٣) د. محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥١٩ .
(٤) نفس المرج السابق.

سكنها، وتولى منصب القضاء بها.

وله من المؤلفات: كتاب: «أصول الفقه»، الذى أُشتهر باسم (أصول الشاش)، نسبة إليه، وإلى بلاده الشاشان.

توفى بمصر سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م[١].

٦- الشيخ «أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد الشاشانى»: كانت ولادته بالشاشان، وتعلم على يد علمائها، وهو حفيد الشيخ فخر الإسلام - السالف الذكر، صاحب الترجمة رقم ٢ من هذا الكتاب -.

تفقه على «أبى الحسن بن الخل» - شارح كتاب: التنبيه والمهذب «لأبى اسحاق الشيرازى -، ولازمه حتى برع فى مسائل الفقه، والتشريع.

كما سمع الحديث من شيخه ابن الخل، ومن أبى الوقت.

تولى التدريس فى المدرسة النظامية، ببغداد. وتوفى سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م[٢].

٧- الشيخ (أبو المحاسن محمد بن يوسف بن أبى القاسم الشاشانى):

ولد بالشاشان، ونشأ بها، وتتلمذ على يد علمائها، ثم رحل إلى بغداد، والتقى بعلمائها، وأخذ عنهم، وأجاد فن القريض، ومدح به جماعة.

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥١٩، ٥٢٠.
(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات ج٧/ ١١٧.

ومن شعره فى ذلك :

لا تحقرن أديباً راق رونقه
من الفصاحة إما راح فى سَمَلِ
فالسُكر العسكرى الحلو من قصب
والنرجس البابلى الغضّ من بَصَلِ[1].

٨- الشيخ (عمر بن أحمد بن الحسين الشاشانى) : هو أخو الإمام فخر الإسلام، الذى سبق الحديث عنه، تتلمذ على يد الشيخ أبى اسحاق الشيرازى.

توفى سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م[2].

٩- الشيخ (عبد الله بن محمد بن أحمد الشاشانى) : هو ابن فخر الإسلام الشاشانى، ووالد أحمد بن عبد الله الشاشانى.

ولد بالشاشان سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م. وتتلمذ على مشايخها، ثم رحل فى طلب العلم، والتقى بكثير من علماء الأمصار الإسلامية، وسمع عنهم، ووعى علماً غزيراً.

وكانت وفاته سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م بمدينة بغداد، ودُفن إلى جانب والده الفخر الشاشانى[3].

١٠- الشيخ (الحافظ أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشانى) : من علماء الشاشان، نشأ فيها، وتلقى العلم على يد الشيخ «عيسى بن

---

(١) الصفدى : مصدر سابق ج٥/ ٢٤٩.
(٢) د. محمد على البار : مرجع سابق ج٢/ ٥٢٠.
(٣) د. محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢؟ ٥٢٠.

أحمد البلخى»، «وأبى عيسى الترمذى»، والدورى وغيرهم.

أخذ عنه العلم عدة من المشايخ منهم: «على بن أحمد بن أحمد الخزاعى»، «ومنصور بن نصر الكاغدى» وغيرهم. وهو إمام مُحدِّث، ثقة.

من مؤلفاته: «المسند». ولذا نُسب إليه، فقيل: «صاحب المسند».

توفى سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م[١].

١١- الشيخ (عمر بن محمد بن موسى الشاشانى): وُلد ببلاد الشاشان سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، ونال حظاً من العلم على يد علماء بلاده، ثم رحل فى طلب العلم إلى مدينة (مرو)[٢]، وتتلمذ على الإمام أبى الفضل اليمنى.

كما سمع الحديث من محدثيها. وتنقل فى طلب العلم فى كثير من البلاد. وتوفى سنة٥٢٧هـ/ ١١٣٢م[٣] بقاشان[٤].

١٢- الشيخ (محمد بن على بن حامد الشاشانى): ولد فى الشاشان سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م، وتفقه على إمامها الشيخ أبى بكر السنجى، ثم رحل إلى غزنه (بأفغانستان) وسكنها، وصنف فيها تصانيف كثيرة. وشاع بها علمه. وفضله، فاستدعاه «نظام الملك» - الوزير السلجوقى - إلى «هراه» بأفغانستان، للتدريس فى مدارسها.

---

(١) الحنبلى: شذرات الذهب ج٢/ ٣٤٢.

(٢) مرو - عاصمة خراسان، انجبت آلاف العلماء كابن حنبل، وسيفان الثورى، وعبد الله بن المبارك. . . ياقوت: معجم البلدان ج٢/ ٣٥٣، ٣٥٤.

(٣) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥٢٠.

(٤) قاشان: مدينة قرب أصفهان، بينهما ثلاث مراحل - ياقوت معجم ج٤/ ٢٩٦.

(٥) د. محمد على البار: مرجع سابق ج٢/ ٥٢٠.

وتوفى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م[٥].

١٣- الشيخ (أبو عبد الله بن عمر بن محمد الشاشانى): ولد ببلاد الشاشان، وتتلمذ على الإمام البغوى، وظل يحصل العلم، ويسمع من العلماء، حتى كان فقيها عالما.

توفى سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م[١].

١٤- الشيخ (أبو الليث نصر بن خاتم بن بكر الشاشانى): ولد فى الشاشان، وتتلمذ على يد مشايخها الأجلاء، وعلمائها الأفاضل، ونال حظاً كبيراً من العلم والمعرفة، ثم قام بتدريس العلم فى بلاده، فكان من تلامذته النابهين: الإمام أبو بكر محمد بن على الشاشانى، المعروف بالقفال الكبير.

وكان من تلاميذته أيضاً: الحاكم، وقد كتب الحاكم وروى عن أستاذه وقال: (كتبنا عنه سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)[٢].

١٥- الشيخ: «المؤمل بن مسرور الشاشانى»: كانت ولادته ببلاد الشاشان، أخذ العلم على علمائها، واشتهر بالعبادة والمجاهدة.

وتوفى (بمرو) سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م[٣].

١٦- الشيخ (القاسم بن محمد بن على الشاشانى:) هو نجل الإمام القفال الكبير. تعلم العلم على يد والده، وعلماء بلاده. ونبغ نبوغاً عظيماً. وتولى التدريس لأبناء بلاده. وقد أخذ عنه كثير منهم.

---

(١) د. محمد على البار: ج٢/ ٥٢١.
(٢) المرجع السابق ج٢/ ٥٢١.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الحنبلى: شذرات الذهب ج٣/ ٥٢.

وله من المؤلفات: كتاب «التقريب»[٤].

١٧- الشيخ: «عبد الجبار بن محمد بن ثابت الشاشانى الخرقى»: كان فقهياً فاضلاً، ولديه علم ودراية بالحساب.

توفى «بمرو» سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م[١].

١٨- الشيخ (محمد بن اسماعيل بن عبيد الله ودعة القفال): كان حسن المعرفة بالمذهب، والخلاف، وعلم الكلام، والجدل.

توفى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٢].

وهناك العديد والعديد من علماء الشاشان، وكان لهؤلاء وأولئك أثر كبير فى ازدهار الحركة العلمية فى البلاد الشاشانية، وفى غيرها من الأمصار الإسلامية. كما كان لهم دور رائع فى مقاومة الأعداء.

وقد نبغ معظمهم، وطارت شهرتهم فى الآفاق مما جعل أولو الأمر فى الدولة الإسلامية، يستعينون بهم فى التدريس فى أعظم مدارسها - وسبق ذكر ذلك -.

وكنا نود أن نتحدث عن علماء الدولة الإسلامية الأوائل، الذين كان لهم الفضل فى تخريج علماء الشاشان، ولكن المصادر والمراجع المتاحة لنا الآن لم تُسعفنا، ولعل الغد القريب يُسفر البحث عن كشف النقاب عن هؤلاء.

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج٢/ ٥٢١.
(٢) المرجع السابق.

الفصل الخامس

احتلال روسيا للشاشان ..
في العصرين : القيصري والبلشفي

احتلال روسيا للشاشان

احتلت روسيا بلاد الشاشان فى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م[١]، واحتلالها لديار المسلمين، أمر قد أعد له أعداء الإسلام، منذ القدم، فقد كانت الدول المسيحية الغربية، تكره الإسلام والمسلمين، منذ أن ظهر الإسلام، وغمر العالم بنوره، وفضله، وعدله، وقامت دولة الإسلام الفتية، وقضت على أكبر امبراطوريتين - فى ذلك الوقت - الفرس، والروم، وضمت إلى سلطانه: مصر والشام والعراق، وخراسان، وأذربيجان، وغيرها من بلاد آسيا الوسطى، وذلك فى عصر الراشدين.

وفى العصر الأموى (٤١ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٤٩م) انساح المسلمون فى البلاد ينشرون دعوة الإسلام التى كلفوا بنشرها إلى جميع أمم الشرق والغرب على السواء، فالإسلام ليس للعرب وحدهم، بل للناس جميعاً، قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[٢]. ومن هذا المنطلق تقدمت حملات الفتوحات الإسلامية، ففتحت الشمال الأفريقى وتأسيس مدينة القيروان بتونس، لتكون منارة يشع منها نور العلم والمعرفة على قارة أفريقية، ومرتكزاً يضم عسكر المسلمين فى هذه الجهات. ثم عبروا مضيق جبل طارق، وفتحوا الأندلس، يفتحون البلاد، حتى فتحوا أجزاء من فرنسا.

---

(١) د. محمد على البار: المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٦٥.
(٢) آية ١٠٧/ الأنبياء.

في حين تقدمت حملات منهم إلى إيران، ووسط آسيا يفتحونها، ففتحوا إيران والهند والسند والصين، ووصلوا إلى بلاد القوقاز، ودعوا أهلها إلى الإسلام، ودخل فيه أعداد كبيرة منهم، ومن لم يدخل فيه، قبل أن يدفع الجزية، وأن يكون من رعايا الدولة الإسلامية.

وفي العصر العباسي (١٣٢ - ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م) ازدهرت حركة العلوم والفنون، والحضارة الإسلامية، ولاسيما في البلاد المفتوحة، وكانت بلاد القوقاز جزءا مهما من دولة الإسلام، حيث كان الخلفاء العباسيون، يعتمدون على فضة بلاد الشاشان في سك العملة[١].

وهكذا فقد قامت الدولة الإسلامية، واتسعت فتوحاتها، ودخل في الإسلام كثير من العناصر الأخرى: فارسية، وبيزنطية، وأتراك... وحملوا راية نشره في البلاد، وكان منهم أعظم علماء الإسلام أمثال: البخاري، والترمذي من ترمذ، والنيسابوري من نيسابور، والإمام أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وعبد الله بن مبارك من «مرو» بخراسان[٢]. والطبري من طبرية، وابن سيناء من بخاري، وأبو بكر القفال الشاشاي من بلاد الشاشان[٣]، وغيرهم كثير مما يعجز عنه الحصر.

وكان لقيام دولة الإسلام وقوتها، أثر كبير في أن امتلأ قلوب

(١) بارتولد: تركستان.. ص ٢٨٦، د. محمد على البار: المسلمون في الاتحاد السوفيتي ج٢/ ٥١٥.
(٢) ياقوت: معجم البلدان ج٢/ ٣٥٣، ٣٥٤.
(٣) ياقوت: المصدر السابق ج٣/ ٣٠٨.

أصحاب الديانات الأخرى حقداً عليها، وعلى رجالها الأبطال، الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، وانتظروا على مضض للنيل من الإسلام والمسلمين، وآتتهم الفرصة عندما تولى خلفاء ضعاف فى العصر العباسى الثانى، وحلّ بالمسلمين النكبة عندما سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، أمام جحافل المغول، الذين دمروا الحضارة، وأتلفوا الآلاف من الكتب العلمية، والمخطوطات النادرة، ووضعوها فى نهر دجلة، وصنعوا منها قنطرة، عبروا عليها.

غير أن الله - تعالى -، جعل من هؤلاء الأعداء حماة للإسلام بعد ذلك فبعد أن انتهت موجة الغزو، قام علماء المسلمين بدعوة جنود المغول، وأمرائهم إلى الإسلام، فلقيت الدعوة قبولاً، واستحساناً، ودخلت معظم القبائل المغولية فى الإسلام[١]. وانتشر بينهم انتشاراً عظيماً، وعمل قوادهم على نشره[٢].

فسبحان مُقلب القلوب، ومن بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله.

ولما ضعفت دولة المغول، بدأت الدولة الإستعمارية تتغلغل فى بلاد المسلمين، وتفرض سيطرتها، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - قيّض الدولة العثمانية الإسلامية، فوقفت فى وجه هذه الدول، وحالت دون مايريدون، وواصل خلفاؤها الفتوحات الإسلامية، ونشر الدعوة فى أوربا، وآسيا، وقاموا بأعظم حدث فى التاريخ، وهو فتح القسطنطينية[٣] - عاصمة الدولة البيزنطية سنة

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢.
(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٢٥١.
(٣) دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين: البحر المتوسط، وهى مدينة حصينة، مسورة، بناها قسطنطين - أحد ملوك - وأتم بناءها فى سنة ٣٣٠م، وسماها: «روما الجديدة». غير أن رعاياها أبو إلا أن يُسموها باسمه، اعترافاً بفضله فاشتهرت بالقسطنطينية وأقيمت على أقرب مكان تلتقى فيه قارتا: آسيا وأوربا، ويسهل منه العبور بين القارتين. =

٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، على يد القائد العظيم محمد بن مراد الثانى بن محمد الأول، الذى لُقب من ساعتها «بالفاتح».

وقد استعصت على المسلمين، عندما حاولوا أن يفتحوها منذ العصر الأموى، والعصر العباسى. وشاء الله أن تفتح على يد السلطان «محمد الفاتح»، سلطان الدولة العثمانية[١].

وجعل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية، وقاعدة لنشر الإسلام وحضارته فى القارة الأوربية. وقد تم له فتح بلاد «المورة»[٢] سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م، وولى عليها حاكماً مسلماً، فجعل يدعو الناس إلى الإسلام، وبين للناس محاسنه ومزاياه، وأنه خير الأديان، فدخل فيه منهم عدد غير قليل.

وفتح «أثينا»[٣] وما حولها من بلاد فيما بين سنتى (٨٦٨ - ٨٦٩هـ/ ١٤٦٣ - ١٤٦٤م)[٤]. وقد استقبل أهلُ أثينا المسلمين بفرح وسرور، وأظهروا ارتياحهم التام للحكم الإسلامى. وقام المسلمون ببناء المساجد والمدارس، وعاملوا أهل البلاد، معاملة حسنة كريمة، مما حببهم فيهم، وفى الإسلام، فأقبل عدد منهم على

= وهذا ما جعل الانتقال والتجارة والاتصال الحضارى بينهما أمراً ميسوراً - أنظر: القلعاوى: صفوة الزمان ورقة ٢٦ مخطوط، ياقوت: معجم البلدان ج٤/ ٣٤٧، القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ص ٣٧٢.

(١) أنظر للمؤلف: محاولات فتح القسطنطينية فى العصرين الأموى والعباسى وأثرها فى نشر الدعوة الإسلامية ص ٥٧ - ١٠٩.

(٢) المورة: هى شبه الجزيرة الكبيرة، التى تشكل الجزء الجنوبى من بلاد اليونان - د/ إحسان حقى - تحقيق كتاب الدولة العليه لمحمد فريد ص ١٥٨.

(٣) أثينا مدينة تقع فى الجنوب الشرقى من بلاد اليونان - د/ إحسان حقى - تحقيق كتاب الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك ص ١٥٨.

(٤) د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٥٨.

الإسلام يعتنقونه[١].

وكذلك فتح بلاد «البوسنة والهرسك»[٢] سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م[٣] وفتح إقليم «ترانسلفانيا»[٤] - بالمجر - سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، وغيرها من البلاد الأوربية، ثم فتح الله - تعالى - على يديه «ألبانيا»[٥]. وقام المسلمون بنشر الإسلام فيها، وبناء المساجد والمدارس، التى ترشد الناس إلى الطريق المستقيم، وتعلم من يدخل منهم فى الإسلام شعائر الدين. كما أقام السلطان قلعة حصينة، فى قلب ألبانيا، لتكون مقر عسكر المسلمين، ومرتكزاً لهم فى هذه البلاد. وكان لذلك أثره فى دخول عدد كبير من الألبانيين فى الإسلام[٦].

ثم واصل خلفاء الدولة العثمانية عملية نشر الإسلام فى أوربا.

وتم للدولة الإسلامية فتح بلاد آسيا الوسطى، وبلاد القوقاز، فأغضب ذلك الدولة الأوربية، وعقدوا العزم على التخلص من هذه الدولة، والقضاء عليها، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.

---

(١) أنظر د. السيد محمد يونس: والإسلاماه، مسلموا البوسنة والهرسك ص ٩.

(٢) البوسنة والهرسك: إحدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى المنحل الست.
وتقع جمهورية البوسنة والهرسك فى منتصف يوغوسلافيا، يحدها من الشمال والغرب كرواتيا، ومن الشرق الصرب، ومن الجنوب: الجبل الأسود.

(٣) أنظر التفاصيل فى د. السيد محمد يونس: والإسلاماه، البوسنة والهرسك ص ١١.

(٤) ترانسلفانيا: يقع فى جنوب شرقى بلاد المجر. ومعنى اسمها هذا، البلاد الواقعة فيما وراء الغابات، أطلقه المجريون لوجود غابات كثيرة تفصله عنها.

(٥) تقع ألبانيا فى جنوب شرقى أوربا، فى حوض البحر المتوسط، وفى الجزء الغربى من شبه جزيرة البلقان، بين يوغوسلافيا واليونان، يحدها من الشمال الشرقى جمهورية مقدونيا، ومن الشمال الغربى: الجبل الأسود، ومن الغرب: البحر الادرياتيكى. ومن الجنوب الشرقى: اليونان.

(٦) أنظر د. السيد محمد يونس: الإسلام والمسلمون فى ألبانيا ص ٥٦، طبعة رابطة العالم الإسلامى، بمكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، عدد (١٤٣) ذو القعدة سنة ١٤١٤هـ.

فقد كانت الدولة قوية وشابة، وفى حالة تيقظ دائم، لما يدبره الروس مع غيرهم من الدول المسيحية، التى امتلأ قلوبهم حقداً وغيظاً على دولة الإسلام، فأرسلت روسيا مبشرين إلى شمال القوقاز، بقصد إجتذاب الناس إلى النصرانية، وكسب أعوان لهم هناك. ولكن العثمانيين المسلمين فوتوا عليهم الفرصة، وأوقفوا تقدم المسيحية هناك.

وكانت هناك بعض القبائل المسيحية، ظلت تتردد بين موسكو المسيحية، واستانبول المسلمة، ثم آثروا الإسلام نهائياً[1].

وهذه القبيلة فضلت الإسلام على النصرانية، لما وجدته فى المسلمين، من حسن المعاملة لجميع الرعايا، من أصحاب الديانات الأخرى، والمساواة بينهم، كما لمست روح الأخوة، والألفة والمحبة، التى ربطت بين جميع الناس، الذين أظلتهم دولة الإسلام، هذا بالاضافة إلى الاضطهاد من جانب الكنيسة الكاثوليكية، وتأييد حكومة روسيا لها. يقول أرنولد - الكاتب الغربى المسيحى-: «أن أكبر الفضل فى نجاح الدعوة، يرجع إلى مستوى الحياة الأخلاقية فى المجتمع الإسلامى، الذى كان أكثر رقياً، كما يرجع أيضاً إلى شعور التآخى، الذى كان يشيع فى هذا المجتمع، والذى كان أكثر تمسكا وقوة.

أضف إلى ذلك أن الأساليب التى لجأ إليها رجال الكنيسة الروسية، وأيدتها الحكومة، لتجعل تلك الطبقة، التى كان يُطلق عليها: التتار المسيحيون أكثر تمسكاً بالدين، فقد جعلت العقيدة

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٣، ١٤.

المسيحية أمراً غير مألوف لديهم»[1].

وحين ضعفت الدولة العثمانية، تم للأعداء ماأرادوا. وفى رمقها الأخير، كانوا يُخططون لاحتلال الدولة الإسلامية، ورمزوا لها بـ «الرجل المريض»[2]، الذى يصير إلى الفناء العاجل[3].

«ومن الحوار التالى، الذى دار بين القيصر «نيقولا» - امبراطور روسيا -، «والسير هاملتون سيموز» - سفير بريطانيا -، تتضح أبعاد المؤامرة الخطيرة، وكيفية التدبير، لتدمير العالم الإسلامى.

«ففى ليلة سمر عند الغراندوقة «هيلانة» الروسية، ٩ يناير سنة ١٨٥٣م، قال الامبراطور نيقولا، للسير هاملتون: تأمل.. نحن بين أيدينا رجل مريض، ومريض جداً، ويكون بالفعل وبالاً عظيماً علينا إن خرج أمره من أيدينا».

وفى مرة ثانية دعى السفير هاملتون، القيصر، فقال له أيضاً: «أنت لاتجهل المقاصد والمرامى، التى لاتزال فى روسيا، منذ عهد كاترينا.. وتركيا - كما قلت لك - من قبل رجل مريض، ويجوز أن تموت بالرغم منا، فتبقى عبئاً علينا، وليس فى استطاعتنا نشر الموتى».

«أفلا يكون من الأفضل بحقنا - تفاديا من حرب أوربية - أن نتفق من قبل على أمرها، حتى لانُؤخذ على غرة، وأننى أقول لك بصراحة أننا إن استطعنا أنا وانجلترا، أن نتفق فى هذا الموضوع، لم

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٨٠، ٢٨١.
(٢) لوثروب الأمريكى: حاضر العالم الإسلامى ج٣/ ٣٠٧.
(٣) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٩٨.

يهمنا الآخرون.

وأنا لا أكتمك أنه إن كان فى نية إنجلترا الاستيلاء على «الأستانة»، فلن أتحمل ذلك، لاأقول إن لكم هذه النية. فلن أكون راضياً. وأنا نفسى أتعهد أيضا بأن لاأحتلها مالكاً. أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستيداع، فقد أرضى.

وأما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها، فقد يجوز أنى أحتلها قولاً واحداً.

فأجاب السير هاملتون: «ليسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن بأن المريض هو على وشك الهلاك».

فرد القيصر فى حدة قائلاً: «إذا كان عند حكومتك أمل بأن تكون تركيا لاتزال فيها عناصر الحياة، فكون المعلومات، التى لديها غير صحيحة... وأنا أؤكد لك أن المريض، هو فى حالة الاحتضار، وأنه لايجوز أن يموت ونحن عنه غافلون، بل يجب أن نتفق، ولست أكلفكم عقد معاهدة، أو تحرير صك، وإنما أطلب كلمة اتفاق عام، وهذا كاف فيما بين الرجال الأكياس»[1].

وهكذا فقد اتفقت قوى الشر والضلال، على احتلال بلاد المسلمين، وبدأ الهجوم على العالم الإسلامى فى كل أقطاره، وأحاطت به الجيوش، والأساطيل فى عقر داره، ودمَّرت بريطانيا ممالك الإسلام فى الهند، وسيطرت على الخليج العربى، واحتلت فى طريقها عدن، وأبحرت أساطيلها شرقاً وغرباً، فلم تدع جزيرة،

---

(١) لوثروب الأمريكى: حاضر العالم الإسلامى ج٣/٣٠٧، ٣٠٨، تعليق شكيب أرسلان، تعريب عجاج نويهض ط ٣ - دار الفكر بيروت سنة ١٩٧٣م.

فى بحر، أو مدينة على ساحل.

وسلكت فرنسا، مسلك بريطانيا، فقامت باحتلال الجزائر والمغرب، وتونس.

وذهبت إيطاليا إلى الصومال، وارتيريا، وليبيا، وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها (مايعرف بأندونيسيا).

وأحيط بدول الإسلام فى شرق وغرب أفريقية، ثم وقعت مصر والسودان، تحت الاحتلال البريطانى[١].

وتوسعت روسيا فى أراضى المسلمين: فى أوربا، وآسيا، وبلاد القوقاز.

وبهذا فقد كانت الضربة قوية، وعنيفة، سُددت إلى المسلمين، وهم فى حالة عجز. وقام هؤلاء المعتدون بمحاربة الإسلام، وهو فى دياره، وبين أهله، عن طريق حملات التبشير، والتنصير، التى أغرقت بلاد المسلمين.

وأرى أنه من المفيد أن أذكر نبذة يسيرة عن روسيا، تلك الدولة التى نشأت صغيرة، ثم كونت امبراطورية، واسعة، ضمت بلاد المسلمين فى قارتى: آسيا، وأوربا.

روسيا:

دويلة صغيرة، محدودة المساحة، تقع فى الركن الشرقى من أوربا، عاصمتها (موسكو)، عدد سكانها لايزيدون عن (مائة ألف) نسمة[٢].

---

(١) د. عبد الودود شلبى: أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية ص ٢٢، ٢٣. ط ٥ - الدار السعودية - جدة سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٣٩.

وحين انتشر الإسلام فى مناطق آسيا الوسطى، ودخل روسيا، وأسلم بعض أهلها، وصارت عاصمتهم (موسكو) ودولتهم، ولاية تتبع دولة الإسلام، واستمر انتشار الإسلام فى روسيا، يزداد يوماً بعد يوم بين الروس.

وكان لا يمكن لأمير «موسكو» أن يُنَصَّب إلا بموافقة سلطان «قازان» المسلم، .

واستمرت «موسكو» تابعة للدولة الإسلامية لمدة (٢٤٠) سنة[٢].

ونشأت هذه الإمارة الروسية فى القرن الحادى عشر الميلادى، وانتشرت فيها المسيحية قبل ذلك بكثير، حتى شملت معظم قبائلهم، وأصبحوا بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، ممثلو الكنيسة الشرقية بكاملها، ورفعوا لواء الصليبية الحاقدة ضد المسلمين.

وفى سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م أعلن (إيفان الثالث) - جد إيفان الرهيب - الحرب الصليبية ضد سلطان المسلمين، وذلك عندما رفض دفع الجزية لأحمد خان - سلطان قازان - وقامت الحرب بينهما، وانهزم المسلمون، وانتصر الروم.

وشجعه ذلك الانتصار أن يواصل احتلال بلاد المسلمين، ولاسيما أن الولايات الإسلامية قد أصابها الضعف، نتيجة الخلافات بينها.

---

(١) المرجع السابق ج١/ ٤٢. ٤٣.

كما أن الروس كثر عددهم، وزاد زيادة رهيبة، ضاقت بها مساحة دولتهم الصغيرة. وهم كما يقول ابن فضلان: «شعب همجى، وأشر خلق الله، وأنهم شقر الأبدان، صفر الشعور، طوال القامات، ضخام الأجسام، شديدو البأس، شجعان، لايعرفون الهزيمة، ولايُولى الرجل منهم حتى يقتل أو يُقتل، وإذا نزلوا بساحة قوم، لم ينصرفوا عنهم دون أن يُهلكوهم، أو يستبيحوا نساءهم وأولادهم ويسترقونهم..

وهم أقذر خلق الله، لايستنجون من غائط، ولايغتسلون من جنابة، كأنهم الحمير الضالة.

وإذا مرض الواحد منهم، ضربوا له خيمة، وطرحوه فيها حتى يُشفى، أو يهلك، لايزوره أحد منهم، ولا يتعهده بالرعاية. وإذا مات الرجل منهم، أحرقوا معه جاريته، وخاصة إذا كان من أهل الرياسة..

وإذا مات الرئيس منهم، قال أهله لجواريه وغلمانه: مَنْ منكم يموت معه؟، فيقول بعضهم: أنا. فإذا قال ذلك وجب عليه.

فيأخذون الجارية، ويغنون، ويرقصون، ويدخل عليها ستة نفر من أهله ينكحونها واحداً، بعد الآخر، ثم يشدون وثاقها ويذبحونها.

ولهم لغة، ودين، وشريعة، لايُشاركهم فيها أحد. يعبدون أوثاناً ونصباً من خشب»[1]، ثم تطورت بعد ذلك أحوال الروس، ودخلوا

(١) رحلة ابن فضلان ص ٣٠ وما بعدها، تحقيق د. سامي الدهان طبعة بيروت.

فى المسيحية الأرثوذكسية، وصاروا حماتها، وسندتها بعد أن فتحت القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح - كما مر ذكره - .

فكان لانتصارهم على المسلمين، وكثرة عددهم وقوتهم، أثر فى أن اتجهوا إلى بلاد المسلمين، وابتلعوا أقطارهم، قطراً إثر قطر، حتى بلغت مساحة روسيا خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول، فوصلت إلى البحر الأسود، ولم يكن لها عليه موضع قدم، إلى عهد «بطرس الأكبر»، وأطلت على البلطيق غرباً، وعلى المحيط الهادى شرقاً، واستوعبت عدداً كبيراً من القوميات، واللغات المختلفة.

وتوسعت مساحتها من دولة صغيرة، إلى امبراطورية واسعة، تبلغ (٢٢,٢٧١,٠٠٠كم٢) ويبلغ عدد سكانها (٢٧٠ مليون) نسمة. وعُرِفت هذه الامبراطورية باسم الاتحاد السوفيتى.

ويشكل المسلمون خمس سكانه تقريبا (خمسين مليونا). بينما تشكل الأراضى الإسلامية، مايقرب من ثلث أراضى الاتحاد السوفيتى.

ويعيش (٧٥٪) من مسلمى الاتحاد السوفيتى فى آسيا الوسطى[١].

والأقاليم المسيحية التى شملها هذا التوسع الروسى ضئيلة المساحة، فقيرة الموارد، وهى لاتزيد عن أوكرانيا، واستونيا، ولاتفيا، ولتوانيا.

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٣٥.

أما الأقاليم الإسلامية، التى إنساح فيها الروس، فهى رقع فيحاء، بعيدة المدى، تزيد مساحتها عن القارة الأوربية كلها عدة مرات، وتشمل: الأورال، واسترخان، وسيبيريا، والقرم، والقوقاز، والتركستان، أى الشمال الشرقى من العالم الإسلامى أجمع[1].

وقد استولت روسيا على هذه البلاد الإسلامية ونهبتها فى غفلة من العالم. الذى لم يتنبه - فى ذلك الوقت - إلى الخطر الروسى. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى:

١- كان الناس - فى ذلك الحين - ينظرون إلى التوسع الروسى فى تلك الجهات، على أنه إمتداد طبيعى لبلادهم، وساعد على ذلك قلة المعلومات، والأخبار، عن مناطق آسيا الوسطى، لدى الأوربيين.. وهذا ما جعلهم يظنون أن البلاد جزءاً متمماً لأملاك روسيا.

٢- أن استعمار روسيا لهذه البلاد، كان عن طريق البر، أو من «الباب للباب». وهذا ما جعل الأنظار لا تلتفت إليه، كاستعمار البلاد الغائبة، أو التى تقع خلف البحار[2].

٣- كان أغلب شعوب آسيا وأفريقية، التي كان لديها وعى سياسى، أو قومى، مشغولة - في ذلك الحين - بمقاومةالاستعمار الغربى[3].

وهذا ما جعل روسيا تتسلل فى غفلة من الناس، إلى البلاد

---

(١) الشيخ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١١٣، ١١٤ طبعة الشؤون الدينية - قطر سنة ١٩٧٨م.

(٢) سامى محمود: إنتشار الإسلام والدعوة الإسلامية ص ٣٥. المكتبة العصرية • بيروت.

(٣) الشيخ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١١٧.

الإسلامية، فى وسط آسيا دون أن تلتفت إليها الأنظار.

كما كان من حسن حظها، أنها لم تكن مضطرة إلى ركوب البحر، فى توسعها الاستعمارى، على خلاف ماكانت عليه حال الدول الاستعمارية الأخرى، التى كانت مضطرة بحكم موقعها الجغرافى إلى البحث عن مستعمرات لها فيما بين وراء البحر، فى بلاد لاتربطها بها روابط الجوار الجغرافى.

وقد شُغل المسلمون عن استعمار الروس لبلاد إخوانهم فى آسيا، حيث كانوا يُحالون استخلاص أنفسهم، وحرياتهم من براثن الاستعمار الأوربى.

وهكذا سيطر الروس على بلاد المسلمين فى آسيا بما فيها بلاد الشاشان - موضوع حديثنا الآن - ومضوا فى استخدام الأساليب الوحشية، لاخضاع المسلمين، من قتل، وفتك، وسلب، ونهب، وتشريد من الديار، إلى بلاد أخرى. وإحلال مجموعات روسية فى وسط الأهالى، وتدمير مساجدهم، ومدارسهم، والحول بينهم وبين شعائرهم.

إنه احتلال فى أبشع صوره، يهدف إذلال الشعوب، وجعلهم فى منزلة العبيد.

ومن خلال العرض الموجز عن توسعات روسيا، وضمها البلاد الإسلامية، إلى أراضيها، حتى صارت امبراطورية مترامية الأطراف، وحكمت الشعوب التى خضعت لسلطانها حُكماً إستبدادياً، قاسياً، بالحديد والنار.

وأما عن نوع الحكم وسياسة الروس فى حكم الشاشانيين . فهذا موضوع الفصل التالى :

الفصل السادس

نظام الحكم الروسي في الشاشان

منذ أن احتل الروس الشاشان سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، وهم يحكمونها بالحديد والنار، حكماً قاسياً، ظالماً، لاهوادة فيه، ولا رحمة. وذلك كله لأن أهل الشاشان مسلمون، فالروس حملوا على عاتقهم - حين انتشرت المسيحية بينهم - رفع لواء الصليبية الحاقد ضد المسلمين[١].

ولذا فقد صبوا جام غضبهم، وحقدهم على مسلمى البلاد، لأنهم يؤمنون بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً. ويتمسكون بدينهم تمسكاً عجبت له السلطات الروسية أشد العجب[٢].

فقاموا بهدم المساجد حتى لايتمكن المسلمون من أداء شعائرهم الدينية، وأرغموهم بالقوة على التنصير. فيذكر كاتبان غربيان، مسيحيان، أن الروس عندما احتلوا بلاد الشاشان قاموا بإغلاق وتدمير جميع المساجد فى المدن والقرى،. فكان - على سبيل المثال - فى مدينة: «بريغورودنى»، التى تقع بالقرب من العاصمة غروزنى، عدة جوامع، أغلقها الروس، بالإضافة إلى إغلاق المساجد والزوايا، وكل أماكن العبادة[٣].

واستمرت السلطات الروسية فى أعمال الإبادة، والتدمير، للمساجد والجوامع حتى عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، قاموا بطرد السكان الأصليين من بلادهم إلى سيبيريا، وتدمير ما تبقى من المساجد، وديارهم، عقاباً لهم على تمسكهم بدينهم، وعدم

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٤٣.
(٢) أنظر: بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢٧.
(٣) المرجع السابق ص ١٣١، ص ١٦٩، وص ٢١٤.

ارتدادهم عنه، وفشل محاولات إذابتهم فى المجتمع الروسى.

ولم يُضعف الطرد من الديار، قوة تمسك المسلمين بدينهم وعقيدتهم، بل زادهم ذلك إيماناً وتثبيتاً، فلم يتأثروا بذلك، بل من بقى منهم على قيد الحياة، ظل محافظاً على دينه، مُتمسكاً به، مُراعياً شعائره. ولما لم تُجد معهم هذه الأعما ل، أعادهم الروس إلى ديارهم سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م. وليس فيها مكان واحد للعبادة[١].

فعمل المسلمون على بناء مساجدهم، وأعادة ماهدمته الشيوعية الباغية. والتف الناس حول العلماء الصوفيين، الذين عملوا على نشر الإسلام، ومناهضة الروس، فأراد الروس أن تُعيق تأثير الصوفية، فسمحت بافتتاح مسجدين فقط من المساجد الكثيرة، التى أغلقت بعضها، وهدمت الآخر، وهى عملية ذر الرماد فى العيون. المسجد الأول: «بريغورودنى»، والآخر فى قرية «سورهوهى».

ثم أمرت بفتح خمسة جوامع فى قرى «نوفيه»[٢] وسُمح للمسلمين بأداء شعائرهم فى هذه الجوامع فى أضيق حدود، ووضع الروس عيونهم عليها، فإذا ما وجدوا عالماً، التف الناس حوله، وتأثروا به، قاموا بتلفيق التهم إليه، واقتياده إلى غياهب السجون، أو تخلصوا منه بالقتل. وذلك فى محاولة لصرف الناس عن دينهم.

وقد بذلوا فى ذلك محاولات عديدة، فيذكر باحثان غربيان، أن المبادىء العامة فى السياسة المتبعة تجاه المسلمين هى:

---

(١) المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٣١.
(٢) المرجع السابق ص ١٦٩.

على النبالة الإسلامية أن تختار بين :

١- اختيار زميل، وارتدادها إلى المسيحية. ومعنى هذا الاختيار، أن يختار كل مسلم - من مسلمى البلاد، التى خضعت لحكمهم - صديقاً له نبيلاً روسياً مسيحياً، ويرتد إلى المسيحية، أو لايرتد. وإنما يجب عليه أن يصبح روسياً، ويتخلق بأخلاق النبلاء الروس.

٢- الدمار الاقتصادى.

٣- التصفية الجسدية، للذين يتصدون للسلطة الروسية[1].

ولهذه الاساليب أثرها السيىء على الدين الإسلامى - كما يذكر صاحبا كتاب المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى - ، فقد كان يُعامل الدين الإسلامى بصلابة مطلقة، فقد هدمت المساجد، ونفى العلماء من المدن.

وأخضع المسلمون للإرتداد عن دينهم، فقد تبنى القياصرة منذ سنة ١٥٥٥م سياسة الارتداد عن الدين الإسلامى بالقوة[2].

ورغّب الروس من يرتد عن دينه، بإعفائه من الضرائب، والخدمة العسكرية، فى حين كان يُكلف بها إخوانهم الذين ظلوا مسلمين، وقاموا بتأسيس مدارس لأولاد الذين ردوهم عن دينهم، وفصلوهم عن آبائهم المسلمين بالقوة. وطردوا من القرى، التى يُوجد فيها مرتدون. وكانت كل دعاية إسلامية مضادة، يُعاقب عليها

(١) بنغسن وكلكاجى : المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٧ .
(٢) بنغسن وكلكاجى : المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٧ .

بالموت[1].

ولم يَسْلَمْ من بطش الشيوعية الظالمة، إذ امتدت يد الأذى إليهم بالقتل، والطرد من المواطن، والإبداع فى ظلمات السجون.

وصادروا أملاك الأوقاف، التى كان عائداتها، تُخصص لأعمال البر والإحسان، والتربية، والصرف منها على الجوامع، والمساجد والمدارس[2]. وكانت هذه الأوقاف تحقق القوة الاقتصادية للعلماء، واستقلالهم الدينى[3].

الروس يتدخلون فى مناهج التعليم :

تدخلت السلطات الروسية فى مناهج التعليم فى بلاد الشاشان - وفى غيرها من البلاد، التى حكموها - فألغوا مقررات الدين الإسلامى، وإبعاد النشء عنه نهائياً، حتى إذا شبوا لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه فقط.

ولتطبيق هذا المخطط، حرمو ا استعمال اللغة العربية فى المدارس، باعتبارها لغة الدين الإسلامى، «والقرآن الكريم»، وأداة الربط القوية، التى تربط بين المسلمين فى البلاد، بعضهم ببعض، وبين مسلمى البلاد، وإخوانهم فى البلاد الإسلامية، فعملوا على القضاء عليها، وإحلال اللغة الروسية محلها، لفصل المسلمين عن

---

(١) بنغسن وكلكاجى : المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٨، ١٩، د. عبد القادر طاش : المسلمون فى آسيا ص ٢٤.
(٢) المرجعين السابقين الأول ص ١٨، والثانى ص ٢٦.
(٣) بنغسن وكلكاجى : مرجع سابق ص ١٥٦.

تراثهم الفكرى والحضارى، وترويسهم.

وربطوا تولى المناصب، بشرط إتقان هذه اللغة.

يذكر كتاب «المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى»: أن الروس فرضوا على الشاشانيين لغة روسية، وحرّموا عليهم استخدام اللغة العربية، أو كتابة لغتهم الشاشانية، بحروف عربية، ومن فعل غير ذلك عُوقب عقاباً شديداً.

كما أنهم قاموا بإغلاق جميع المدارس القرآنية فى البلاد، ولم يبقوا منها فى منطقة القوقاز بأكملها سوى مدرستين: الأولى: «مدرسة ميرى» فى «بخارى»، وهى مدرسة متوسطة، تتدرج دروسها، وتمتد إلى سبع سنوات. ويبلغ عدد طلابها قرابة خمسين طالباً من السكان الأصليين، فى جميع مناطق الاتحاد السوفيتى - السابق - تُخرج سنوياً من الطلاب المجازين من عشرة إلى خمسة عشر. يتولون وظائف الإمامة، والخطابة فى المساجد؛ ومن أراد منهم أن يكمل دراساته العليا، كان عليه أن يلتحق بمدرسة «طشقند» - عاصمة أوزبكستان.

الثانية: مدرسة الإمام البخارى فى طشقند: ومدة الدراسة بها أربع سنوات، وتضم ثلاثين طالبا. ويعمل الخريج منها فى القضاء، أو أن يكون عضواً فى الإدارة الدينية.

وأُرسل الخريجون الممتازون لاكمال دراساتهم فى جامعة الأزهر بالقاهرة، أو جامعة القرويين فى فاس، أو جامعة البيضاء فى ليبيا،

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٧٠.

أو جامعة دمشق[1]. وكان ذلك منذ سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

وكانت اللغة فى المدارس الابتدائية الشاشانية، باللغة الشاشانية، أجبرهم الروس على استعمالها وكتابتها بحروف روسية، والويل كل الويل لمن يستخدم لغة غيرها.

وفي المرحلة الثانوية، كان التعليم باللغة الروسية، واستعمال لغة أخرى يُعد جريمة كبرى فى نظر القانون الروسى[1].

ولكن على الرغم من هذه الأعمال التى قام بها الروس، من أجل محو الدين، والقضاء على اللغة العربية، فإن الشعب الشاشانى لم يستسلم، بل قام العلماء بتعليم أبناء المسلمين، اللغة العربية، ومبادىء الإسلام، وتحفيظهم آيات الذكر الحكيم، وبعض أحاديث الرسول - ﷺ - وذلك فى مدارس دينية أقاموها سراً، بعيداً عن أعين الرقباء من الروس، وتولى التدريس فيها، والإشراف عليها علماء البلاد[2]، وقد حققت هذه المدارس نتائج عظيمة، فقد نشرت اللغة العربية بين النشء، والدين الاسلامى، فشب هؤلاء على العقيدة الإسلامية السليمة، ونطق العربية، لغة الدين والقرآن.

الروس يسيطرون على وسائل الإنتاج:

سيطر الروس على كل وسائل الانتاج، فحرموا الفلاحين الشاشانيين، - كما حرموا غيرهم من أهل البلاد، التى وقعت تحت

(١) محمود شاكر: قفقاسيا ص ٧٧، د. عبد القادر طاش: المسلمون فى آسيا الوسطى ص٢٧.
(٢) بنغسن وكلكاجى: مرجع سابق ص ٢٠٦.

نير حكمهم - من ثمار كفاحهم، وكدهم، وعاملوهم كالعبيد، يزرعون الأرض حسب مايصدرون لهم من أوامر، وعند جنى الثمار والمحصول، تأتى القوات الروسية فتأخذه كله، ولاتترك للفلاح، الذى كان سبباً من أسباب النماء، والثروة، شيئا، إلا ما يسد به الرمق.

وأرض الشاشان غنية بالثروات الزراعية، والمعدنية الهائلة، فقد زرعها الفلاحون بالمحاصيل والزراعات المتنوعة، جعلت الروس يكتفون بها عن الاستيراد.

وانتجت الأرض الشاشانية معدن البترول، والذهب، والفضة، والحديد، وغيرها من المعادن الهامة، التي استفاد منها الروس فى نمو اقتصادهم وتقدمه.

ومع هذه الثروات فقد اختص بها السلطات الروسية، واستصفوها لأنفسهم، وتركوا أهل البلاد يعانون من البؤس والحرمان. وإن تجرأ أحد من الأهالى، وعبّر عما يجيش فى نفسه، ولو بعبرة يذرفونها، كان الموت بانتظاره، وأقرب من الدمعة إلى عينه[1].

«كما كان المبيع فى محلات عامة، تملكها القوات الروسية، يشترى منها الإنسان ما عُين له، ويأكل ما خُصص له، بحيث لايمكن أن يأخذ حسب حاجته، ومتطلباته الضرورية، ولا حسب رغبات نفسه»[2].

---

(١) محمود شاكر: ققفاسيا ص ٤٣.
(٢) المرجع السابق ص ٧٧.

ولذا فقد اتخذ الحكم القيصرى فى الشاشان خطة، لمحاربة الإسلام وأهله فيها، فقد رأوا أنه عمل على القضاء على اللغة العربية، وإغلاق المدارس الإسلامية. وإلغاء المناهج الدينية فى بعضها، ووضعها تحت الرقابة الصارمة، وهدم المساجد، وإغلاق بعضها، وإلصاق التهم بعلماء المسلمين، وقتلهم، أو إيداعهم غياهب السجون، وأكل خيرات البلاد، وترك أهلها فى فقر ومجاعة.

العلماء يتحركون:

قام العلماء مع أمراء البلاد المحليين، بمقاومة الاحتلال الروسى، وإنزال بهم الهزائم المتتالية، وإحراز انتصارات رائعة، ومن تلك الانتصارات، التى حصل عليها الشاشانيون، بقيادة الشيخ «منصور»، «أوشورما الشاشانى» كما يُسميه باحثو الغرب.

تلقى الإمام تعليمه الدينى فى مدينة بخارى، وعاد إلى مسقط رأسه فى بلده (ألدى) يدعو الناس إلى الزهد فى الدنيا، ومباهجها. وانتشرت دعوته كالنار فى هشيم بالى، فى جميع بلاد الشاشان الجبلية الوعرة، وامتدت إلى بقية مناطق شمال القوقاز.

وجمع شمل أمراء البلاد، فى قوة، وتصدى للمحتل الروسى، كما نجحت دعوته فى دخول كثير من القبائل فى الإسلام[1].

وفى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م قامت الامبراطورة: كاترين الثانية:

---

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ١٢١.

(١١٧٦ - ١٢١١هـ/ ١٧٦٢ - ١٧٩٦م) بإرسال قوات روسية لشمال القوقاز، لضمها للحكم الروسى.

فتصدى الإمام منصور، لها، ودعا للجهاد واجتمع له حشد كبير من شعوب شمال القوقاز، واجه بهم القوات الروسية، التى سارت بقيادة العقيد الروسى (بيرى)، لاحتلال (ألدى) مسقط رأس الإمام، والتنكيل بالأهالى، فى محاولة خبيثة من الروس لإذلال الشيخ:

ولكن الله تعالى نصر الشيخ منصور على هذه القوات حيث سحقتها الجيوش الإسلامية، وقتل الإمام منصور، القائد الروسى (بيرى) بنفسه فى المعركة، وقُتل معه سبعة ضباط، وحوالى ألف جندى، وفر الباقون إلى «أرمينيا»[١] المجاورة، للإحتماء بها قائلين: «سنكون أسرى لدى أهلها وليس قتلى فى بلاد الشاشان»[٢].

وكان من نتائج هذا النصر العظيم أن انضم إلى جيش الشيخ منصور أعداد أخرى من جهات بلاد القوقاز، حتى صار جيشه قوة، لايُستهان بها.

وهاجم الروس هذا الجيش، فى قلاعه وتحصيناته، وتمكن من احراز انتصارات رائعة، هزت العالم - فى ذلك الوقت - وقمع الحملات الروسية التى أرسلت للقضاء على حركته[٣].

---

(١) أرمينيا: بكسر أوله وفتحه، وسكون ثانيه وكسر الميم: صقع كبير، واسع المساحة، يمتد من برذعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم، وجبل القبق، وقيل: أرمينيا مدينتان: كبرى وصغرى، فالكبرى خلاط ونواحيها، والصغرى تفليس ونواحيها - أنظر ياقوت: معجم البلدان ج١/ ١٦٠، ١٦١.

(٢) د. أحمد موسى عادل الشاشانى: الجذور التاريخية للحملات العسكرية الروسية ضد الشاشان. مقال بمجلة المجتمع الكويتية ص ٣٦ عدد رقم (١١٣٢) ٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ.

(٣) المرجع السابق.

وتمكن الإمام من تدمير لواء روسى، عند نهر ترك سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م[١].

وعندما نشبت حرب القرم سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م بين روسيا والدولة العثمانية، توجه الإمام منصور برجاله لنجدة الحامية الإسلامية، التى وضعتها الدولة العثمانية، من الحصار الذى فرضه الروس عليهم، فى قلعة وميناء «أنابا» - على بحر آزوف - وتمكن الشيخ من فك الحصار، من خلال هجمات خاطفة على الخطوط الخلفية للروس، وهذا ما أتاح فرصة للمسلمين المحاصرين، لاستقبال نجدة عسكرية، أُرسلت إليهم من استانبول - دار الإسلام، عاصمة الدولة العثمانية الإسلامية - واضطر الروس إلى فك الحصار عن القلعة، ودخلها الإمام منصور بقواته.

ثم أرسلت الإمبراطورة كاترينا جيشاً آخر لحصار القلعة، والقضاء على الإمام ورجاله، فقاوم المسلمون وصدوا القوات الروسية، أكثر من مرة، ولم يجعلوها تنل مرادها.

وظل الإمام منصور ورجاله، يقودون حركة الجهاد ضد المعتدين، حتى وقع فى الأسر سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، فشكلت له محاكمة صورية، حكمت عليه بالسجن الموبد، ونفى إلى قلعة (شلوسلبورغ)، وبقى فى منفاه حتى وافته المنية فى سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م[٢].

ومن هؤلاء العلماء، الذين قادوا الحملات ضد المحتل

---

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢١ تعريب د. حسن ابراهيم حسن وزميلاه.
(٢) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢١، بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٩٦.

الروسى، رئيس القضاة (الملا محمد الكمراوى)، الذى قام بشرح روح الجهاد. وتسمى باسم (الغازى محمد)، واستطاع أن يلحق بالأعداء الهزائم.

وظل هذا العالم، يقود الحملات ضد الروس، ويتنقل من ميدان الجهاد، إلى آخر، ويكبد العدو خسائر فادحة، حتى نال شرف الشهادة، فى ساحة الجهاد، والدفاع عن الدين والوطن، سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م[1].

وحمل الراية من بعده، وواصل الكفاح، ونضال المعتدين، تلميذه: الأمير «حمزة الخنزاجى»، الذى خاض كثيراً من المعارك، فى محاولة لتخليص بلاده من الاحتلال الروسى.

واستمر يُدبر، ويُخطط، ويقود مواطنيه فى جهادهم، حتى لقى ربه شهيداً فى ميدان الجهاد سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م[2].

فخلفه الإمام العالم، الشيخ «محمد شامل» - تلميذ العالم، القاضى «الملا محمد» - الذى سبق الحديث عنه -.

والشيخ شامل هذا، قائد عسكرى، بارع، وقائد محنك، يدرس نفسية أعدائه، ويعرف ماذا يفكرون، ولذا فقد أبهرهم بخططه وانتصاراته الرائعة. فهو أسد القوقاز، وصقر الجبال، الذى دوّخ روسيا القيصرية، وتصدى لظلمها، وجبروتها، وجيشها، وخاض معارك شرسة بمجموعة من رجاله، صقور القوقاز بالشاشان وغيرهم، وحقق انتصارات عظيمة، صعقت بتخطيطها أرقى العقول

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٤٥.
(٢) المرجع السابق ج١/ ٤٦.

العسكرية، وأعظم القواد الروس، الذين كانوا ينهزمون غالباً[1].

١ - «وكان يقوم الإمام شامل بعملياته العسكرية، كأنه يقوم بعمل جميل، خارق للعادة يحبه، وأثبت للجنرالات الروس، وجميع القيادات العسكرية الروسية، أن فى الحرب نظاماً دقيقاً، وخططاً محكمة مدروسة، أما الروس، فكانوا يظنون أن الحرب ماهى إلا استعراض للقوة الغاشمة»[2].

٢- وجمع الشيخ شامل، حوله مجموعة من كبار العلماء، الذين كانوا على درجة كبيرة من الحنكة السياسية، والدراية بالأمور، شاورهم، واستفاد من أرائهم فى وضع الخطط لمقاومة الروس، وأنزل بهم الهزائم المتكررة الثقيلة.

٣- ومن هؤلاء العلماء، «الحاج موسى» الذى وجهه الشيخ شامل على رأس خمسمائة رجل، ليرابطوا للروس داخل قرية (خاراجى). وعندما دخل الروس هذه القرية، وتجولوا فى شوارعها، تُسيطر عليهم نشوة الانتصار، حتى وصلوا إلى ساحتها، دون أن يُعكر صفو وجودهم شىء، فإذا بهم يُفاجأون بإطلاق النار عليهم من خمسمائة بندقية دفعة واحدة، فصرعوا، وأمر الحاج موسى رجاله بالخروج من خلف المتاريس، والإنطلاق نحوهم بالسيوف. وكان هو فى مقدمة رجاله.

ولما عرفت السلطات الروسية بهذه الهزيمة، سارعت بإرسال قوة أخرى إلى هذه القرية للثأر لقتلاهم على يد المسلمين، فلما

---

(١) سلجوق قللى: صقور القوقاز، ترجمة د/ محمد حرب ط. دار المنارة - جدة.
(٢) المرجع السابق ص ١٦١.

وصلت، تصدى لها الحاج موسى ورجاله، وقاتلوا سيلاً جارفاً من الروس، بكل شجاعة وفدائية، مما جعلهم يفرون من ساحة الميدان، مولين الأدبار، تاركين كميات كبيرة من الذخائر، ومجموعة من البنادق، وأربع مدافع، و(٦٢) أسيراً، و(٣٦٠) قتيلا[١].

ومن رجال الشيخ شامل أيضا: «الحاج مراد» القائد المجاهد العظيم الذى أمره الشيخ شامل أن يطير على رأس خمسمائة فارس، على متاريس الأعداء، الذين أقاموها حول قلعة (أوان صوقول)، وتحصنوا فيها، فتسلق البطل، ومعه الصقور إلى داخل القلعة، وأغمدوا سيوفهم فى الحاضرين، فطارت الرؤس، ولم ينجُ منهم إلا من طلب الأمان[٢].

وتحرك الشيخ شامل بفرقة أخرى من رجاله، وتقدم بهم نحو هذه القلعة، للقضاء عليها، باعتبارها أخطر معقل للروس فى الشاشان. وتجمعت القوات وتم الفتح.

ثم هاجم المسلمون الروس الموجودين فى قلعة (بالاقان)، التى لاتقل أهمية عن قلعة «أون صوقول) وفرضوا عليها حصاراً مُحْكماً، ثم منَّ الله عليهم بفتحها فى صباح يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٤٣م[٣].

وهكذا فقد كان الإمام شامل ورجاله يقودون الثورات ضد المحتلين الروس، ويكبلونهم الخسائر الفادحة فى المعدات،

---

(١) سلجوق قللى: صقور القوقاز ص ١٦٩، ١٧٠.
(٢) المرجع السابق ص ١٥٧.
(٣) المرجع السابق ص ١٧٠.

والأرواح، والذخائر.

وكانوا يغمرون من يقع فى أيديهم من أسرى الروس، بالكرم الوفير، ويُحسنوا إليهم، وهذه المعاملة جذبت كثيراً من الروسيين إلى اعتناق الإسلام، والإنضمام إلى صفوفهم يحاربون الروس. من هؤلاء «بانوف» الذى عبّر عن حسن هذه المعاملة بقوله: «إنهم لايعاملوننا معاملة تختلف عن جرحاهم، ولايشتمنا أطباؤهم، ولايتمنونا موتنا، مثلما يفعل الأطباء الروس، عندما يقولون للجريح: فلتمت أيها الوغد»[1].

ومن الذين أسلموا، وكان يعمل لصالح المسلمين «بينكا»، وساعد الإمام مراد على الهرب، عندما وقع فى الأسر الروسى[2].

وظل الإمام شامل ورجاله يجاهدون الأعداء، ويستولون منهم على الحصون والقلاع، ويقاتلونهم بالمعدات والذخائر التى أخذوها منهم، ووقف فى وجه الروس، لمدة خمسة وعشرين عاماً. وحين نفذت ذخائره، أو كادت، ترك الحصون، ولاذ بالجبال، واتخذها معقلاً له، واستمر يُجاهد منها العدو مدة عشر سنوات، سقط فيها معظم رجاله، وسلاحه، ونفذت المؤن التى كانت معه.

ولما لم يجد لديه مايناضلهم به خرج فى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م إلى تركيا، ثم توجه منها إلى مدينة رسول الله - ﷺ - وظل بها فى جوار خير البشر - ﷺ - حتى توفى سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧١م، ودُفن فى البقيع[3].

---

(١) سلجوق قللى ص ٨٠.
(٢) السابق ص ١٣٠ - ١٣٧.
(٣) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٤٦.

وبعد أن احتلت روسيا القيصرية البلاد، صبت جام غيظها، وحقدها على المسلمين فيها، واضطهدتهم، وعذبتهم، حتى بلغ بهم التعذيب كل مبلغ، وأقامت المشانق والمذابح للعلماء، الذين يقودون أهل البلاد لمقاومة المحتل.

ومع هذه الأساليب الوحشية أو غيرها، فإن الشعب وعلماءه لم يكفوا عن مناهضة العدو. فقد حمل لواء الدفاع عن الدين والوطن بعد «الشيخ محمد شامل» تلميذه: الشيخ «بشير الكوميكى»، الذى اتخذ من قرية: «شيدى - يورت» مركزاً للقيادة، وناضل، وقاتل الروس قتالاً عنيفاً، حتى وقع أسيراً فى ميدان الجهاد، فحكم عليه القواد الروس بالنفى إلى «سيبيريا»، وهناك وافته المنية[1].

فخلفه فى قيادة الشعب الشاشانى، الشيخ: (على خان كوميكا)، فواصل الجهاد، وقاوم الأعداء، حتى وقع فى الأسر، ونفاه الروس إلى سيبيريا، حيث لقى ربه هناك[2].

فتولى القيادة بعده الشيخ: (دُنى أرسانوف) - من قرية (كين يورت)، فظل يتحين الفرص، ويُعد الخطط للإنتقام لشيخه (على خان)، فترصد للضابط الروسى، الذى حكم على الشيخ بالنفى، وقتله بيده.

ثم كون فرقة قاتل بهم الروس، فى معارك ضارية. على «نهر ترك»، حقق فيها انتصارات باهرة، ولم يتوان فى مواصلة الجهاد، حتى نال وسام الشهادة فى ساحة الجهاد سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م[3].

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٩٧.
(٢) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٤٠٠.
(٣) بنغسن وكلكاجى: مرجع سابق ص ١٦٨.

واختار المسلمون أحد العلماء ليقود كفاحهم، ذلك هو: الشيخ «نجم الدين غوتسو»، فقاد لواء الجهاد، وخاض معارك كثيرة ضد المحتلين الروس، أبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً، وأظهروا شجاعة وفدائية.

وظل الشيخ الجليل يقود المسلمين فى حملاتهم ضد الروس من سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، حتى قبض عليه الروس فى آخر معركة قادها ضدهم سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥م، فحكم عليه بالإعدام، مع جماعة من العلماء[١].

وتبعاً لذلك قامت السلطات الروسية البلشفية، بقمع طويل لشعب الشاشان، سالت فيه الدماء أنهاراً، وصُفيت المحاكم الشرعية، وجُرد السكان من سلاحهم، واعتقل معظم طلبة العلم والعلماء، حتى الذين لم يشتركوا فى ثورة الشيخ (نجم الدين غوتسو)[٢].

ومع ذلك لم تخمد حركة الجهاد ضد المعتدين، ولم يفتر حماسها عند أهل البلاد، ولم تتحطم مقاومتهم - كما كان الروس يظنون-، بل انطلقت إنطلاقاً جديداً.

واستمرت حركة الجهاد، تُقاوم الأعداء، ولم تتمكن السلطات الروسية من قمعها، إلا فى سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٣٦. غير أن الحركة نهضت أشد قوة وضراوة فى سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٠م، مما جعل السلطات الشيوعية الظالمة، أن تقيم المذابح الرهيبة، ثم تنفى

(١) بنغسن وكلكاجى ص ٢٠٠، د. محمد على البار: مرجع سابق ج١/ ٤٠٠.
(٢) المرجع السابق ذكره ص ٢٠٠.

السكان إلى سيبيريا سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٤م. ومات أكثر من ثلثى السكان.

ثم عاد من بقى منهم إلى البلاد سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٥٧م، واستأنفوا حركة الجهاد ضد الغزاة الروس، حتى أعلنوا استقلالهم فى سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. بقيادة أحد أبنائهم المخلصين، البررة، الجنرال (جوهر دوداييف) الذى وهب حياته فداء لبلاده الشاشانية.

البرلمان الروسى يُعلن حرية الأديان:

أعلن الدوما (البرلمان الروسى) الحرية الدينية فى سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، فبدرت للمسلمين بإدارة أمل، وظهر لهم بصيص من النور، فعاد المسلمون، الذين فُرضت عليهم النصرانية، وأُجبروا عليها جبراً، فى القرن السادس عشر الميلادى فى عهد: (إيفان الرهيب): [٩٥٤ - ٩٩٢هـ/ ١٥٤٧ - ١٥٨٤م]، والمسلمون الذين أجبروا على المسيحية فى القرنين (١٨، ١٩م) عادوا جميعا إلى الإسلام.

وهكذا فقد كان هذا القانون سبباً فى زيادة عدد المسلمين، وعودة من تنصر منهم فى الامبراطورية قهراً، وإكراهاً، إلى الإسلام.

يذكر كاتب مسيحى غربى، معلقاً على ذلك بقوله: «كان من النتائج، التى ترتبت على صدور هذا المرسوم فى بلاد القوقاز، أن دخلت جموع كثيرة فى الإسلام، من بين طوائف الأبخاز، الذين كانوا قد ظلوا طويلاً يدينون بالمسيحية اسماً فقط، ولكنهم الآن قد

أصبحوا مسلمين، فى جموع، بلغ من ضخامتها أن رجال الكنيسة الأرثوذكسية، قد أخذ الخوف منهم كل مأخذ، فأقاموا جمعية خاصة، تقوم بتوزيع منشورات دينية بينهم، أملاً فى مناهضة النفوذ الإسلامى»[١].

ولم تدم فرحة المسلمين طويلاً بهذا القانون، فبعد عام واحد من صدوره، أرسل وزير خارجية روسيا، تقريراً إلى مجلس الوزراء، يُحذر فيه من إعطاء المناطق الإسلامية، حرية تكوين جمعيات سياسية، ودينية، ويأمر بإلقاء القبض على دعاة هذه الحركات، واعتبارهم خارجين على القانون، بتهمة أنهم جواسيس، وعملاء لدولة الخلافة العثمانية.

ولهذا قامت السلطات الروسية، بتصفية جميع الأحزاب الإسلامية. التى تكونت عامى (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م). مثل حزب «الإتفاق الإسلامى»، وحزب «برك»، وحزب «ملى فرقة»..

وتكون لأول مرة التحالف الروسى، الفرنسى على إثر هزيمة «روسيا» من «اليابان» سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ثم انضم إليه التحالف الإنجليزى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، واتفق قيصر روسيا (نيقولا الثانى): [١٢٩٨ - ١٣٣٦هـ/ ١٨٨٠ - ١٩١٧م]، مع «بريطانيا» على عدم نفوذه من «آسيا الوسطى» إلى «الهند»، التى كان التاج البيريطانى مُسيطراً عليها. وتم الإتفاق على اقتسام «إيران»، فبسطت روسيا سيطرتها على شمالها، بينما سيطرت بريطانيا على جنوبها،

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٢.

وتركت انجلترا بترول (باكو) لروسيا، مقابل أن تترك روسيا بترول «عبدان» - على الخليج العربى -[1].

وحين علمت «ألمانيا» بهذا التحالف الثلاثى، أصابها الذعر، فطمأنتها روسيا، بالدخول معها فى معاهدة سرية سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، تقضى بأن تسمح روسيا لألمانيا، بمد خط حديدى بين «بغداد»، «واستانبول»، وامتداده من بغداد إلى خانقين، فى حين توافق ألمانيا على نفوذ روسيا فى إيران، وتقوم روسيا بمد الخط الحديدى من خانقين - على الحدود الإيرانية العراقية، إلى طهران.

وحين قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣ - ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٨م) دخلت الدولة العثمانية (تركيا) إلى صف المحور: (ألمانيا، وإيطاليا)، حيث إنها عرفت نية الحلفاء (روسيا، فرنسا، بريطانيا) فى اقتسام أراضيها، والقضاء عليها قضاء مبرماً.

ولما انهزم دول المحور (ألمانيا، وإيطاليا، وتركيا) قسمت ممتلكات الدولة العثمانية (تركيا) بين دول الحلفاء. ومن ثم فقد عملت الدول الغربية على احتلال بلاد المسلمين.

الشاشان تحت الحكم الروسى البلشفى:

قامت الثورة البلشفية فى سنة ١٣٣٦هـ/ مارس ١٩١٧م فى روسيا، ضد استبداد القيصر: (نيقولا الثانى: ١٢٩٨ -

---

(١) د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٥٣.

١٣٣٦هـ/ ١٨٨٠ - ١٩١٧م) بزعامة لينين، الذى أعلن للمسلمين أول بيان له بعد شهر من استيلائه على السلطة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م، أعلن فيه: أن الثورة البلشفية، ليست إلا فى صالحهم، وأنه يقف معهم ضد الاستعمار الغربى، ويعترف بحريتهم واستقلالهم، بل ويدافع عن إسلامهم، وقرآنهم فيقول:

«يامسلمى روسيا.. يامسلمى الشرق، أيها الرفاق.. أيها الاخوة: ان أحداثاً عظيمة، تحدث الآن فى روسيا. إن العهد الدموى (الحرب العالمية الأولى)، الذى بدأت تسبب أطماع الاستعماريين، والامبرياليين فى أرضكم، قد قارب النهاية.. وتحت ضربات الثورة الروسية، فإن النظام الاستعبادى الاستبدادى، يتقوض بناؤه الآن. وإن حكم الطغاة والمستبدين، ومصاصى دماء الشعوب، يقترب من أيامه الأخيرة الآن. وإن عالماً جديداً يُولد الآن. عالم العمال، والأحرار، وعلى رأس ثورة الفلاحين والعمال، يقوم مجلس الشعب، الممثل بالقوميسار الروسى.

إن عهد الرأسماليين، والإمبرياليين يتداعى، وان الأرض تُميد من تحت أرجلهم، وتشتعل الثورة من تحت زقدامهم.

وفى خضم هذه الأحداث العظام، نلتفت إليكم يامسلمى روسيا والشرق، الذين استرقكم الاستعمار، واستلب أموالكم وأراضيكم.

يامسلمى روسيا، ياتتار[1] الفولجا، والقرم، ياأمير القرغيز، وسكان سيبيزيا، والتركستان، ياسكان القوقاز الأبطال، وقبائل

(١) أطلق الروس والدول الغربية على مسلمى بلاد القوقاز، وآسيا الوسطى، بالأتراك، وكلمة ترك عندهم تعنى كلمة مسلم.

الشاشان، وسكان الجبال الأشداء. . أنتم يامن هُدمت مساجدكم، وحُطمت معابدكم، ومزق القياصرة الطغاة قرآنكم، وحاربوا دينكم، وأبادوا ثقافتكم، وعاداتكم ولغاتكم.

ثوروا من أجل دينكم، وقرآنكم، وحريتكم فى العبادة، إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم، ومساجدكم، وإن عاداتكم وتقاليدكم حرة، لايمكن المساس بها.

ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة، دون أى معوقات، ولكم كل الحق فى ذلك، واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية، والمدنية، مصونة، بقوة الثورة، ورجالها، والعمال، والفلاحين، والجنود، وممثليهم.

لهذا نطلب منكم تأييد الثورة، ومساندتها، لأنها تقوم من أجلكم، ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية.

يامسلمى الشرق، يامسلمى إيران، وتركيا، وبلاد العرب والهند؛ أنتم يامن تاجر مصاصوا الدماء الأوربيون المستعمرون بحياتكم، وأوطانكم، وحرياتكم، لعدة قرون من الزمان.

أنتم يامن تآمر عليكم هؤلاء اللصوص، الذين يتقاسمون أرضكم، ويشعلون نار الحرب، لتكونوا أتونها، ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم، وثرواتكم.

أما نحن فنعلن بأعلى صوتنا: أن الاتفاقيات السرية، التى أُبرمت بين روسيا القيصرية، وبين فرنسا، وبريطانيا، الاستعماريتين، والتى بموجبها اقتسموا أرضكم، أيها المسلمون، واستلبوا ثرواتكم،

ونهبوا خيراتكم، نعلن أنها باطلة، ونعلن أن خطط القيصر المخلوع، وحكومة كرينسكى، التى أزاحها الشعب، للإستيلاء على القسطنطينية، باطلة، ولاغية.

إن حكومة جمهورية روسيا الثورية، ومجلس الشعب الأعلى فيها، يُعلنون أنهم ضد احتلال أراضى الغير بالقوة، ونعلن أن القسطنطينية ينبغى أن تبقى للمسلمين.

كما نعلن أن الاتفاقية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينهما لاغية وباطلة. ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران، بمجرد انتهاء العمليات العسكرية، ونضمن استقلال إيران الكامل.

وإننا نعلن أيضا أننا ضد تقسيم تركيا، واقتطاع أرمينيا منها، وأن هذه الاتفاقيات السرية باطلة ولاغية.

ليس من روسيا أيها المسلمون، سيأتى استعبادكم، بل من الدول الأوربية الاستعمارية، من هؤلاء اللصوص، مصاصى الدماء الذين استعمروا أرضكم، واستلبوا ثرواتكم، وزجوا بأبنائكم فى أتون حرب، لايأتيكم منها إلا الدمار. وفى مقابل ذلك كله يقتسمون مابقى من أرضكم، وثرواتكم، وكأنكم وبلادكم غنائم الحرب المنتظرة.

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة، الكفرة، الذين سرقوا ثروات بلادكم، واستعبدوا أوطانكم، نعم ثوروا الآن فى هذا الوقت، الذى تشتعل فيه الثورة، وينهدم فيه بنيان الطغيان، والاستبداد، ويتقوض فيه نظام الاستعمار.

ثوروا فإن أى شرارة الآن ستكون حريقاً، يلتهم بنيان الطغيان، والاستبداد، والاستعمار، إن الهنود المسلمين، الذين ذاقوا الذل والاستعباد، لقرون طويلة، يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى، ويرفضون أن يبقوا حول أعناقهم الأغلال، التى غلتهم بها بريطانيا، لعدة قرون من الزمان.

اليوم لايمكن السكوت على هذا الظلم، وعلى هذا الاستعباد، إنه وقت الثورة ضد المستعمرين الانجليز، الغاصبين لأوطانكم، المحاربين لدينكم، المستبيحين لمقدساتكم، الناهبين لثرواتكم.

الآن أيها الرفاق، والاخوة، هو الوقت المناسب للثورة، ولصنع مستقبلكم الحر، الباسم بأيديكم.

تقدموا أيها المسلمون لتحرير أوطانكم، وارفعوا أعلام ثورتكم، فإن أعلامنا وبنودنا قد رفعت، من أجل حرية المستعبدين، والمظلومين.

يامسلمى روسيا، ويامسلمى الشرق، هلموا إلينا، إلى طريق الحرية، والعدالة، لنبنى هذا العالم من جديد، على أسس الحق والخير والعدل»[1].

لينين يخدع المسلمين:

وهكذا فقد خدع لينين المسلمين بوعوده البراقة. واستمر فى خداعهم، فقد قام بتسليم مصحف سيدنا عثمان - رضى الله عنه -

(١) الشيخ محمد الغزالى: المسلمون أمام الزحف الأحمر ص ١٣٠، ١٣١، د. محمد على البار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج١/ ٥٧ - ٦٠.

الذى كان فى حوزة دولة القياصرة، إلى ممثلى المسلمين فى مؤتمر «بتروجراد». كما سلم عدداً من الوثائق التاريخية، والآثار الإسلامية الهامة، التى كان قد استولى عليها القياصرة، وأعادوها إلى مسلمى القرم، والقوقاز، والتركستان.

وكان الهدف من وراء ذلك، أن يُوهم المسلمين أنه فى صفهم ومعهم، وليؤكد لهم أن ثورة (١٣٣٦هـ/ أكتوبر ١٩١٧م) ليست على غرار ثورة مارس، التى سبقتها، والتى اهتمت بتكوين دولة روسية ليبرالية، مع احتفاظها بجميع أراضى المسلمين، دون إعطائهم سوى الفتات من حقوقهم.

انتشرت دعاية لينين بين المسلمين، حتى بلغ الزعم أن النظام السوفيتى البلشفى، إنما يقوم على مبادىء «القرآن» والشريعة الإسلامية[١].

ويتضح لنا أن قواد الثورة البلشفية، أرادوا ضم المسلمين إلى صفهم، ليساعدوهم على التخلص من الحكم القيصرى المستبد، وأن انضمام المسلمين إلى جانبهم، يحقق لهم الفوز والانتصار، ولاسيما إذا علمنا أن جزءاً كبيراً من الشعب الروسى لايزال متردداً فى معاونتهم، بل كان بعضهم يناوىء حكمهم، ويجهر بعدائه لهذا الانقلاب الجديد.

ومن ناحية أخرى فشلت دعوى قادة الثورة فى استهواء أفراد الطبقات العاملة فى غرب أوربا، ولاسيما فى إيطاليا، وفرنسا، فلم

(١) د. محمد على البار: مرجع سابق ج١/ ٦١.

يسيروا فى ركابهم، كما كانوا يؤملون.

ومن ناحية ثالثة: كانت قوات روسيا البيضاء المناهضة لهم، قد أخذت تستعيد قواها، بمعاونة بعض الدول الأجنبية، استعداداً للقضاء على الثورة البلشفية، بقوة السلاح[1].

ولذا استمر لينين فى إصدار البيانات إلى المسلمين فى روسيا والعالم، ليساندوا ثورته، ويقوموا فى وجه أعدائه. ولقد لقيت الدعاية، التى أطلقها مبلغاً عظيماً بين المسلمين، حتى أنهم اعتقدوا أن لينين واقف معهم، من أجل استقلالهم الكامل، داخل الأراضى الروسية، كما يقف من أجل استقلال جميع الأقطار الإسلامية، من سيطرة الاستعمار الغربى. واعتبرها المسلمون منحة من السماء، لانقاذهم من الاستعمار.

وكان آخر هذه البيانات اللينية، البيان الصادر فى سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، الذى جاء فيه:

«يامسلمى العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار، استيقظوا، استيقظوا!!، إن روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية. تلك السياسة الضارة، الخبيثة، التى كانت تتمشى عليها حكومتنا السابقة.

إن روسيا اليوم تمد يدها إليكم، لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الاستعباد، والاستبداد البريطانى.

إن روسيا تطلق لكم الحرية الدينية، وتعترف بحدود بلادكم

(١) الشيخ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص ١٢٩.

المعروفة، ولن توافق على إعطاء رقعة من البلاد التركية - الإسلامية - إلى الأرمن، وتبقى مضايق البوسفور، والدردنيل فى أيديكم. وتظل القسطنطينية، عاصمة العالم الإسلامى. ويمنح المسلمون فى روسيا الاستقلال التام!!.

إن ما نطلبه منكم لقاء هذا، هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين، الذين دأبهم ومُبتغاهم، استنزاف بلادكم، واستلاب ثرواتكم، واستعباد أوطانكم»[1].

ويستمر لينين فى دعايته، ووعوده الكاذبة للمسلمين، حتى بعد أن ظهر كذبه، وبدأ يحتل كثيراً من المناطق الإسلامية، فوجه الدعوة إلى المسلمين ليحضروا مؤتمر (باكو)، الذى عقد فى سنة ١٣٣٩هـ/ أول سبتمبر سنة ١٩٢٠م.

وقد جاء فى بطاقة هذه الدعوة:

«أيها العمال والفلاحون فى إيران، إن رجال الحكومة القاجارية - وهى الأسرة. الحاكمة، التى سبقت مجىء الضابط رضا بهلوى - فى «طهران»، مابرحوا جميعاً يستلبون أموالكم، وأراضيكم، طيلة قرون عديدة، وإن الأراضى التى هى ملككم بحق صريح على مقتضى الشريعة الإسلامية، قد امتلكها لصوص حكومة طهران. وهاهم يبيعون البلاد لبريطانيا، بمبلغ بخس، مقداره مليونى جنيه فقط. لكى يقوم البريطانيون بامتصاص دمائكم، وإهدار كرامتكم، ومحاربة دينكم.

(١) لوثروب الأمريكى: حاضر العالم الإسلامى ج٤/ ٢٧٠، ٢٧١ ترجمة عادل نُويهض، تعليق شكيب أرسلان ط ٤ دار الفكر - بيروت سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م.

أيها الفلاحون فى العراق، قد أعلنت بريطانيا أن بلادكم مستقلة، ولكن هناك ثمانين ألف جندى بريطانى، يحتلون بلادكم، وينهبون ثرواتكم، ويلوثون شرفكم، ويهتكون حرمات نسائكم، ويمسون كرامة دينكم!!.

أيها الفلاحون فى الأناضول: إن الحكومات البريطانية والفرنسية، والإيطالية، قد احتلت القسطنطينية، وجعلوها تحت أفواه المدافع، وطفقوا يمتهنون كرامة السلطان، ويعاملونه معاملة الأسير الرقيق، وفرضوا عليه أن يسلمهم مالية البلاد، لينزفوا ثرواتكم، ويمتصوا دماءكم. وهاهم قد استولوا على مناجم هرقلية، واحتلوا موانئكم، وهم الآن يسوقون الجيوش لاجتياحكم.

أيها الفلاحون فى سوريا، وبلاد العرب: إن بريطانيا وفرنسا، وعدنكم بالاستقلال التام، ولكن هاهى جيوشهما تحتل بلادكم، وتدنس أرضكم، وتهزأ بعقيدتكم، ودينكم، ويسنون لكم الأنظمة، والقوانين، التى تتعارض مع شريعتكم!!».

ويختتم البيان بدعوتهم إلى الحضور فى باكو بالعبارة الآتية:

«استخفوا بمصاعب السفر، وجوبوا القيافى والقفار، حتى تصلوا إلى هذا المكان المقدس!!، الذى فيه تستطيعون العمل فى سبيل إحياء ماضيكم المجيد، وإقامة شرائع دينكم القويم.

أقدموا علينا لنعمل فى سبيل نجاتكم، وخلاصكم من رق العبودية إن كنتم تريدون حياة الحرية، والعدل والمساواة»[1].

(١) د. محمد على البار: مرجع سبق ذكره ج١/ ٦٣، ٦٤، وص ٢٠٠.

وهكذا فقد كانت وعود لينين للمسلمين بالحرية والإستقلال، التام لهم، أثرها الكبير فى أن وقفوا بجانب ثورته، وناصروها. فقد قامت الثورة فى كل البلاد الإسلامية.

ففى منطقة القوقاز، قاد الثورة الإمام (نجم الدين غوتسو)، الذى عرف عند الروس باسم (نجم الدين غوتسنسكى) فى آخر سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.

وهذا الإمام كان من شيوخ الطريقة النقشبندية، التى أخرجت الملايين من المجاهدين، الذين حملوا راية الجهاد، ضد الغزو الروسى، وبذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل تحرير بلادهم وأوطانهم.

وكان من بين شيوخ هذه الطرقة، الإمام الشيخ (محمد شامل) وشيخه الإمام القاضى (الملا محمد)، المشهور بالغازى محمد الكمراوى. وسبق أن وضحنا جهاده فى مباحث هذا الكتاب.

ومنهم الأمير (حمزة الخنزاجى) وغيره من العلماء الذين قادوا ثورة الشاشان وبلاد القوقاز ضد المحتل الروسى من سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م إلى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م.

وهذه الطريقة قد أخرجت لنا الإمام (خليفة محمد على)، الذى قام بثورته ضد القياصرة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

واستمرت ثورة الإمام (نجم الدين غوتسو)، وأعلن القوقاز استقلاله فى سنة ١٣٣٧هـ/ مايو ١٩١٨، وتبعته جورجيا بعد بضعة أسابيع[١].

---

(١) محمد على البار مرجع سبق ذكره ج١/ ٦٥.

فما أن قام لينين بتوطيد حكمه، وقبض على زمام الأمور فى روسيا بيد من حديد، ضرب بوعوده للمسلمين عرض الحائط، وبدأ يستخدم سياسة الشدة، والقسوة معهم، فقتل مئات الآلاف، بل الملايين، وأحاطهم بسياج من حديد أحمر، وشعر المسلمون أنهم تحولوا من مستعمر، إلى مستعمر آخر، أشد ضراوة وأنكى، وأدركوا أنهم خُدعوا بالوعود الخلاّبة، والآمال الخادعة، وأن مافعلوه مع لينين من أجل حريتهم واستقلالهم، صار سرابا.

وتقدمت الشيوعية الحمراء على بلاد الشاشان والقوقاز كله، واحتلتها.

وفى سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م قام لينين بجعل بلاد الشاشان مقاطعة، ذات حكم ذاتى.

وفى سنة ١٣٤٣هـ/ يولية ١٩٢٤م جعل الأنجوش مقاطعة ذات حكم ذاتى. ودمج المقاطعتين (الشاشان والانجوش) فى سنة ١٣٥٣هـ/ يناير ١٩٣٤م. ثم أعطيت فى سنة ١٣٥٥هـ/ ديسمبر ١٩٣٦م اسم جمهورية ذات حكم ذاتى[(١)].

سياسة الشيوعيين فى الشاشان :

كانت سياسة لينين البلشفية، منذ توليهم السلطة، تتسم بموقفهم المعادى للإسلام، وقد حثهم على ذلك سيدهم لينين، ذلك الخصم العنيد، المتزمت لكل دين.

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢٨.

فقد كانت التدابير الأولى لهدم دعائم الإسلام الاقتصادية، والقضائية، ففى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م أُلغيت المحاكم الشرعية، التى تحكم «بالقرآن الكريم»، وبسنة رسول الله - ﷺ - كما ألغيت محاكم الأعراف[١].

وأعلنت السلطات الحاكمة أن الإتحاد السوفيتى، دولة علمانية فصل فيها الدين عن الدولة، وما يتبعه من جوامع وكنائس، وحظرت تدريسه فى المدارس والمعاهد. ولقد أعلنت أن الإسلام كغيره من الأديان الأخرى «قضية شخصية». والشيوعية بشكلها الماركسى، اللينينى، هى إيديولوجية الإتحاد السوفيتى الرسمية. والنضال من أجلها هو أحد عقائدها. فكل دين عدوها اللدود[٢].

لذا صارت فى ذلك العهد لاتدين بدين، ولاتعترف بإله، بعد أن كانت فى العهد القيصرى، تدين بالمسيحية، وحاملة لواء نشرها فى العالم.

ولهذا نجد أن السلطة الشيوعية شنت هجومها المباشر على الدين الإسلامى، فى الامبراطورية، باعتباره دين الأغلبية فيها. فمنذ سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م قامت بإغلاق جميع الجوامع، ماعدا القليل النادر.

ومنها ماقاموا بهدمه، والآخرماحولوه إلى مستودعات وأماكن للهو، أو اصطبلات[٣].

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٥٦.
(٢) المرجع السابق ص ١٥٥.
(٣) د. عبد القادر طاش: المسلمون فى آسيا الوسطى ص ٢٦.

وكانت هذه الجوامع سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م تزيد عن (٢٦,٠٠٠) جامع فى روسيا، يعمل بها (٤٥,٠٠٠) من أئمة، ومدرسين، ومؤذنين، ووعاظ، وعمال، لم يبق منها سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م غير (١٠٠) جامع فقط[١].

كما تفنن الشيوعيون الملاحدة فى إلصاق التهم بالعلماء لصرفهم عن واجبهم الدينى، وأداء رسالتهم الإسلامية، وقد سحق التنكيل الدموى أكثر من (٣٠ ألف) عالم[٢].

ويذكر كتاب المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى أنه (منذ ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، قام «اتحاد المناضلين فى سبيل الكفر بالله»، بملاحقة العلماء المسلمين، وكانوا يتهمونهم بالتخريب والتطفل والتجسس لصالح اليابان وألمانيا وبريطانيا»[٣].

وواضح من الرواية السابقة: أن الشيوعيين شكلوا جمعيات لمقاومة الإسلام ورجاله، وكان أعضاؤها يقبضون على علماء المسلمين، بإسناد التهم إليهم، وما أكثرها عند قوم لادين لهم، ولاخلاق.

وكتب زعماء أعضاء جماعة الإلحاد، عشية قيام الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨ - ١٣٦٣هـ/ ١٩٣٩ - ١٣٤٥م) باسم «إتحاد المناضلين فى سبيل الكفر بالله» مقولة، نشرت له فى «موسكو» جاء فيها:

---

(١) د. عبد القادر طاش المسلمون فى آسيا الوسطى ص ٢٦ .
(٢) المرجع السابق.
(٣) بنغسن وكلكاجى: مرجع سابق ص ١٥٦ .

«إن المنظمات الدينية الإسلامية، والجوامع هى مراكز نشاط العناصر القومية، المعادية للسوفيت. إن أعداء الشعب يحيكون خيانتهم تحت راية الدفاع عن الدين. إن نشاط رجال الدين المسلمين، أعداء الثورة فى الإتحاد السوفيتى، توجهه المخابرات اليابانية»(١).

وهذا الكاتب الماركسى، يتحدث عن المسلمين وقادتهم، وكأنهم غرباء، يعيشون على أرضهم، ونسى أنهم أصحاب الأرض، التى يعيشون عليها، ولهم حق الدفاع عنها، وعن حرياتهم، وعن دينهم.

وفى بلاد الشاشان قامت السلطات الشيوعية بتطبيق تجربتها الجذرية، لتدمير الإسلام عن تعمد، فأغلقت جميع المساجد والجوامع بها، وذلك لمعاقبة الأهالى على نشاطهم، الذى تميز بطابعه المتصلب، والمعادى للروس.

وقد اعترف المراقبون السوفيت: أن الجمهورية الشاشانية، الأنجوشية. هى أقوى معقل للإسلام، وأن سكانها هم أكثر المسلمين، تديناً فى الإتحاد السوفيتى - السابق -(٢).

ولذا عاقبتهم بتدمير جميع مساجدهم، وجوامعهم، وظلت على هذه السياسة الغاشمة حتى سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٤م حين طردوا السكان الأصليين من بلادهم، إلى «سيبيريا»، وقازاخستان(٣)،

---

(١) بنغسن وكلكاجى مرجع سابق ص ١٥٨.
(٢) المرجع السابق ص ١٣١.
(٣) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة فى آسيا ص ٤٠١.

بقرار ظالم من ستالين، حيث أسندوا لهم تهمة التجسس لصالح ألمانيا. ونُفى السكان فى ظروف بالغة القسوة والصعوبة، فمات معظمهم فى الطريق، أو فى سيبيريا. ذات المناخ القاسى.

ويعلق باحثان فرنسيان مسيحيان، على هذه الحادثة الفظيعة بقولهما: «طُرد السكان من ديارهم إلى سيبيريا، وآسيا الوسطى، فى شروط رهيبة، بحيث مات معظمهم فى الطريق، أو فى سيبيريا. [كل ذلك عن قصد مخطط](1).

وهذا المخطط الذى أعدت له ودبرته سلطات الشيوعية، هو إبادة هذا الشعب الشاشانى المسلم، المتمسك بدينه، الشديد الصلابة فى الدفاع عنه.

وكان من أثر أعمال القياصرة سابقا، ثم الشيوعيين، بالأهالى، أن انخفض عددهم انخفاضاً رهيباً من عشرة ملايين إلى عدة آلاف.

يقول الباحثان السابقان: «من المعروف أن السكان قد بلغوا أكثر من عشرة ملايين نسمة، قبل الغزو القيصرى، الذى أباد منهم الملايين طوال حقبة تسلطه، حتى إذا جاءت حقبة التسلط الشيوعى أبادت سلطاته البقية، حتى لم يبق منها إلا الآلاف القليلة»(2).

وأرغم الشاشانيون والأنجوش على ترك ديارهم، وأموالهم، إلى ديار أخرى فى سيبيريا، وغيرها، فمات أغلبهم. ومن بقى منهم حافظ على دينه، وعاداته، وتقاليده، وأخلاقه الإسلامية. ورغم المحن الشديدة، التى تعرضوا لها، فإنه لم تضعف عزائمهم، ولم

---

(1) بنغسن وكلكاجى: مرجع سابق ص ١٢٨.
(2) المرجع السابق ص ١٢٨.

تخر قواهم، بل استمسكوا بدينهم، ومازادهم ذلك إلا إيمانا وتثبيتاً.

وبعد نفى الشعب الشاشانى الأنجوشى، قام «ستالين»: بإلغاء جمهوريتهم فى سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٤م[١]، وقسم أرضها بين الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية المتحدة، وجمهورية جورجيا المستقلة ذاتيا.

وبعد موت «ستالين» وضح تبرئة الشعب الشاشانى الأنجوشى، من تهمة التجسس، التى ألصقت إليه وبطلانها، فأمرت السلطات الشيوعية بعودتهم إلى ديارهم التى شردوا منها سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م[٢].

فلما عاد هذا الشعب البائس، وجد أماكن العبادة من مساجد، وجوامع، ومدارس دينية قد دُمرت، فأقام المسلمون المدارس والجوامع بالجهود الذاتية، وأشرفت الجماعات الصوفية على تلك المدارس، وقام علماؤها بالتدريس فيها، ولما وجدوا أن الروس يعرقلون النهضة العلمية الإسلامية فى البلاد، أقاموا المدارس القرآنية سراً، خوفاً عليها من التدمير، أو الإغلاق، وقتل، أو سجن القائمين عليها.

وكانت تدرس فى هذه المدارس مبادىء التعاليم الدينية الإسلامية، واللغة العربية، والتفسير وعلوم «القرآن الكريم»، والحديث النبوى الشريف، وتاريخ المسلمين. واحتفل المسلمون مع علمائهم بالإحتفالات الدينية، مثل الختان، وعقد الزواج،

(١) سيد عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة فى آسيا ص ٤٠١.
(٢) د. محمد على النجار: المسلمون فى الاتحاد السوفيتيى ج١/ ١٣٦.

وشعائر الدفن، ويشرف العلماء على أماكن الصلاة، ودور العبادة السرية[1].

وقد أُحصيت هذه المدارس، فى سنة ١٣٦٦هـ/١٩٦٧م، قام بالإحصاء، أحد أبناء داغستان، الذين تخصصوا فى العمل المعادى للإسلام، فذكر أكثر من مائة مكان مقدس (مابين مسجد ومدرسة) فى داغستان، والجمهورية الشاشانية الانجوشية[2].

وعندما تكتشف السلطات السوفيتية، هذه الأماكن كانت تغلقها بانتظام، غير أن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ماتفتح ثانية، حين تظهر الدلائل على فتور يقظة رجال الأمن، ويجتذب جماهير هائلة، ويعقد فيها حلقات الذكر، وينشرون دعاية مناهضة لسلطة المحتل.

وتذكر المصادر السوفيتية: «أن الأماكن الصوفية، أشبه بطائر العنقاء الأسطورى، يُبعث من رماده حياً باستمرار. وتؤم باستمرار جماهير كبيرة، حيث هى ملاذ جميع المؤمنين، الرافضين لكل تدليس، وتواطؤ مع السلطة الملحدة.

هؤلاء يريدون بناء عالم، يُباركه القانون الإلهى. والصوفية ليست هرطقة، ولا انفصالاً دينياً، خلافاً للعالم المسيحى الأرثوذكسى، الذى عارض منشقوه الدينيون، سياسة بطريرك موسكو، ولكنهم لم يجدوا حلاً آخر غير مغادرة الكنيسة. فالطرق الصوفية مستقيمة كل الاستقامة، لاترفضها، ولا تستنكرها القيادات الدينية الإسلامية»[3].

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون.. ص ٢٠٦.
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٧، ٢٠٨.

ومن ذلك يتضح لنا بجلاء أثر الجماعات الصوفية فى نشر الإسلام، والمحافظة على اللغة العربية، ومحاربة المعتدين، مما جعل سلطات الاحتلال الروسى، «تسعى لتدمير تلك الجماعات، بالدعاية، والقمع البوليسى، ولُوحق زعماؤها، ومريدوها بصفتهم عناصر معادية للإشتراكية، ومتطفلين مجرمين، لمخالفتهم التشريع السوفيتى، حول فصل الدين عن الدولة»[1].

واشتدت الحملة الروسية ضد الصوفية، وصارت أشد عنفاً، وفتكاً برجالها، ففى عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٦٩م أصدرت الأوامر بمصادرة الكتب الدينية، وأشرطة الخطب، والوعظ والإرشاد، والأناشيد الدينية، ومنع بيع أجزاء «القرآن الكريم»[2].

فى حين أكثر الشيوعيون من نشر الكتب المعادية للإسلام، بالمئات، بل بالآلاف، وجعلوها بلغات المسلمين المحلية، وبأثمان زهيدة، حتى يتم تأثيرها بين جميع المسلمين.

كما قام «الحزب الشيوعى» بتنظيم دورات لنشر الإلحاد، فى المصانع، والمزارع، والمدارس، والجامعات[3].

الروس يولون عملاءهم حكم الشاشان :

فرح الشعب الشاشانى - الانجوشى، بعودته من منفاه، وبعودة الجمهورية له، إلا أن الفرحة لم تتم، حيث قام الروس بإسناد إدارة

(١) بنغسن وكلكاجي: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ٢٠٨.
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٩.
(٣) د. عبد القادر طاش: المسلمون فى آسيا الوسطى ص ٢٦.

الحكم إلى حكام من الروس، أو إلى عملاء لهم، من أبناء البلاد، أو تشكلت الهيئة الحاكمة منهما. وعمل هؤلاء على الإضرار بمصالح الشعب.

وبذلك صارت الشاشان مقاطعة روسية، تمدهم بالثروات والخيرات، ورجال الجيش. وكان حاكم الجمهورية لايستطيع أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل لابد من استئذان سلطات «موسكو».

ثم قام الشيوعيون بعمل أشد خطراً، وأفظع جرماً من السابق، ذلك هو قيامهم بزرع عناصر روسية بين المسلمين ليكونوا جواسيس عليهم، ومراقبى تحركاتهم وأعمالهم. وأتوا بأعداد كبيرة من الروس، وأحلوهم محل المسلمين من أهل البلاد[١]، ليقضوا على وحدة المسلمين، وسحق هويتهم.

وإلى جانب ذلك قاموا بنشاط تنصيرى كبير، أغرقت به البلاد، وقامت من أجله مؤسسات حكومية، ترعاه، وتشرف عليه، منها: مؤسسة «اتحاد المناضلين فى سبيل الكفر بالله»، والتى كان لها نشاط كبير فى محاربة المسلمين[٢]. «ومعهد الإلحاد بأكاديمية العلوم الإجتماعية للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى»، يقوم بنشر وسائل الإلحاد، ومحاربة الدين. ويضع الخطط لمن يقوم من الملحدين بإخراج المسلمين عن دينهم.

ومن هذه الوسائل، التأثير على التلاميذ فى المدارس، وغرس فيهم عقيدة الالحاد، وكره الدين الإسلامى، ثم ينتقل المدرس

(١) د. عبد القادر طاش: مرجع سابق ص ٢٥.
(٢) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون.. ص ٥٨.

الملحد إلى أسرة التلميذ، بالتودد إليهم، وتكرار زيارتهم، ثم عندما تأنس له الأسرة، ينفث فيها سمومه الملحدة.

وكذلك استخدموا عدداً من النساء الروسيات الملحدات، ليقمنّ بنشر الإلحاد بين نساء المؤمنين، وذلك بأن تلتقى المرأة بالنساء، وتتودد لهنّ، ثم تحدثهنّ فى مسألة الحجاب، وتزويج البنات صغار السن، وتظهر لهنّ أنها ضد ذلك . . .

كما استخدم الروس، ميدان الطب، لنشر الإلحاد، بين المسلمين. وذلك بأن يقوم الطبيب ومساعده بالحديث إلى المرضى، ولاسيما فى حالة النقاهة من مرضهم[١].

إلى غير ذلك من الوسائل العديدة، التى نشرها هذا المعهد، ومن ذلك نرى أن الشيوعيين، عملوا على محاربة الدين بكافة وسائل الترغيب، والترهيب. ولكن الله - تعالى - عصم المسلمين فى بلاد الشاشان، فلم يميلوا إلى تلك الوسائل، وتمسكوا بدينهم، وعاداتهم، وأخلاقهم الإسلامية السامية، فعجز دعاة الإلحاد على التأثير فى البلاد.

وصبر المسلمون، وصابروا، حتى كشف الله الغمة، وانفرط عقد الاتحاد السوفيتى، وانهار فى سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وذهب إلى غير رجعة، فتنفس مسلمو الشاشان الصعداء - كما تنفس غيرهم من مسلمى البلاد، التى رضخت للحكم الروسى الجائر-، ونعموا

---

(١) د. على جريشه: حاضر العالم الإسلامى ص ٢٤١ - ٢٤٧ ملحق رقم (٢) عن وسائل نشر المعهد المذكور، الإلحاد فى ديار السملمين ط ٣ دار المجتمع - جدة سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

بالهواء النقى، الصافى، الخالى من غبار الشيوعية الملحدة، التى خنقهم طويلاً، وشعر المسلمون بالراحة بعد طول عناء وشقاء. وقامت بعض الدول بإعلان استقلالها عن الإتحاد السوفيتى المنحل، وأنه آن الأوان لتعيش حرة مستقلة.

وكان من بين هذه الدول، التى أعلنت استقلالها عن الإتحاد الروسى - السابق -: جمهورية الشاشان الإسلامية، فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠م، فى المؤتمر القومى الشعبى، الذى مثل جميع السكان الشاشانيين والأنجوشيين.

وقام هذا المؤتمر بمطالبة برلمان الجمهورية بتبنى إعلان السيادة على الأرض الشاشانية للشاشان.

وقد اختار المؤتمر أحد أبناء الشاشان المخلصين، الذى استقال من منصبه فى الجيش الروسى، وظل يعمل من أجل استقلال بلاده. ذلك هو الجنرال (جوهر دوداييف).

وقامت الدولة بضرب عملة خاصة بها، كمظهر من مظاهر الاستقلال الشاشانى عن الاتحاد الروسى.

ولكن الروس لم يعترفوا باستقلال هذه الدولة، وعملوا على إجهاض استقلالها. فقاموا بغزوها، بعد أن مضى على إعلان الاستقلال نحو ثلاث سنوات. وهذا ما سوف نتحدث عنه - بإذن الله - فى الفصل التالى:

وقبل أن نولى وجهنا شطر هذا الفصل، ونفصل فيه الأحداث تفصيلا، أود أن أذكر هنا زيارة أحد أباء الشاشان اللاجئين إلى

الأردن فى صيف سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٨١م.

زيارة أحد المهاجرين إلى الشاشان :

قام بهذه الزيارة أحد أبناء الشاشان بعد غياب استمر طويلاً، بلغ به الشوق مداه، وتحركت أمام عينيه أحلى ذكريات الشباب، ومرتع الصبا.

أخذ الرجل موافقة السلطات الروسية على الزيارة بصعوبة بالغة، وبعد أن أبرز كفالة رسمية من شخص فى المكان الذى يريد زيارته، بألا ينقل أخباراً، ولايتكلم عن الأحوال، ولايبحث فى أمور سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وإنما يرى فقط أقرباءه. وهذه أفضل التسهيلات للزوار. والدول فى غالب الأحيان تفخر بزيارة الأشخاص إليها، لينقلوا عنها إلى مجتمعاتهم مارأوه من حرية وتقدم وحضارة ومدنية.

وقد ذكر أموراً كثيرة جديرة بالتأمل والاهتمام، ومن أهمها:

١- أنه استقبل بحفاوة بالغة، بشكل منقطع النظير، فقد كان بانتظاره بضعة آلاف من الأشخاص فى المحطة، مع أنه شخص عادى، وبقى ثلاثة أسابيع فى غرفته، لايبرحها، من كثرة الوافدين عليه، لتقديم التحية له، فقد كان يفد عليه يومياً بالمئات. كما جاء بعض الوافدين من مسافات بعيدة، منهم من استقل الطائرة من مسافة (١٥٠٠٠كم)، ليرى أحد الذين أتوا من بلاد النور، من البلدان العربية والإسلامية.

٢- كان أهل الشاشان يحمدون الله كثيراً على أنه أصبح للشخص المرفه منهم، أكثر من غيار واحد من الثياب، بعد تطبيق الاشتراكية بمدة خمسين عاما، وصار بإمكانه أن يُغير ثيابه دون البقاء تحت اللحاف، ريثما يجف ثوبه المغسول، ويكرهون الانخراط فى الجيش الروسى، ولكنهم مرغمون على تأدية الخدمة الإلزامية.

٣- عندهم ميل غريب للإسلام، والتفقه فيه، ومعرفة أحكامه، ماعدا الجيل، الذى نشأ على عقيدة الشيوعية، فإنه يحتاج إلى وقت لترغيبه فى الإسلام.

وأنهم يعانون من قلة الأئمة والعلماء. وقد كان السكان يوجهون إليه أسئلة فقهية، ويفترضون أنه على علم بها مادام يعرف العربية، ويقطن مع أهلها المسلمين.

ولقى الزائر شخصاً من الأهالى، عاش بعض الوقت فى البلاد الإسلامية، ويعده السكان ولياً من أولياء الله، ويتبركون به، رغم أن لغته العربية ضعيفة.

٤- لايعرفون شيئا عن العالم الخارجى، ولاعن اللاجئين منهم إلى بلاد المسلمين، كما أنهم يُمنعون من أداء فريضة الحج. وكل الذى يهتمون به عملهم فقط، سواء رضوا بهذا أو أرغمتهم سلطات الروس على ذلك.

٥- وقد أفتى لهم الحكام بأن الخمر غير محرمة فى الإسلام، وعندما سألهم الضيف عن الخمر وكيف يتعاطونه مع أنهم يسألون عن الدين؟. فأجابوا أنه غير محرم ماداموا لايتعاطونه عندما

يصلون.

٦- يعدون البلاد العربية، بلاد النور، مادام الإسلام منها نشأ، ومنها خرج، ويظنون بأهلها أحسن الظن، ويعدونهم المثل الأعلى فى الكمال والخلق، والعلم، والفضيلة. ويعتقدون أن الإسلام فى البلاد العربية، هو الحاكم فيها.

وقد طلب شيخ كبير، يزيد على الثمانين، أن يؤمه فى ركعتين وهذا أمله فى أن يقتدى ولو بركعتين بإنسان قادم من بلاد النور، البلاد العربية[١].

وواضح من تقرير الزيارة هذه أن هؤلاء الشاشانيين متعطشون لمعرفة المزيد عن الإسلام وأحكامه، وأنهم يعدون البلاد العربية، بلاد النور، لشروق الإسلام من احداها، وهى المملكة العربية السعودية. ويكنون بالحب والتقدير كل المسلمين فيها، وتغمرهم السعادة عندما يتوجه أحد من أبنائها إليهم.

كما يظهر من التقرير أن الروس فرضوا على الشعب الشاشانى عزلة شديدة، ومنعوا اتصاله بإخوانه المسلمين فى البلاد العربية، وبالتالى حذروا اتصالهم به.

وهم فى حاجة إلى العلماءوالدعاة، ليوضحوا لهم محاسن الإسلام ومزاياه الفاضلة، وينقوه من الشوائب والتهم الزائفة، التى ألصقها الروس به، بقصد تشويه صورة الإسلام أمام النشء، وتنفيرهم منه.

(١) محمود شاكر: ففقاسيا ص ٧٩ - ٨٢.

وهم الآن فى أحوج مايكونوا إلى ماعدة المسلمين لهم، والوقوف بجوارهم ضد المعتدى الروسى، وبذل كل المساعى لوقف نزيف الدماء الطاهرة التى يُريقها الطغاة الروس كل يوم على أرضهم .

فهل يتحقق ذلك؟ . أدعو الله أن يتحقق ذلك، وينصرهم الله نصراً عزيزاً . إنه على كل شىء قدير .



الفصل السابع

الغزو الروسي لجمهورية الشاشان الإسلامية
في العصر الحديث

عندما انهار عقد الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وذهب إلى غير رجعة، تنفس مسلمو الدول الإسلامية، التى ضمها الاتحاد المنحل، برئة سليمة هواء نقياً. وتطلعت كل دولة إلى تقرير مصيرها، فسارعت كل دولة تطالب بحريتها، فقامت عدد من هذه الدول بإعلان استقلالها، وأن لها الحرية فى تقرير مصيرها، واختيار النظام الذى تراه مناسباً لحياتها، وأمنها ودينها.

ولما رأت جمهورية الشاشان الإسلامية أن تعلن استقلالها، عن الإتحاد السوفيتى المنهار، حيث قام شعبها باستعمال حقه التاريخى والإنسانى، ودعا فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠م، إلى عقد المؤتمر القومى الشعبى، الذى مثّل جميع الشاشان والأنجوش. وأعلن الاستقلال.

وقام المؤتمر بمطالبة برلمان الجمهورية الشاشانية بتبنى إعلان السيادة على الأرض الشاشانية للشاشانيين.

وكان الجنرال (جوهر دوداييف) تقاعد من الجيش الروسى، وصار رئيساً للجنة المؤتمر الشعبى الشاشانى، الذى عمل على استقلال الشعب الشاشانى، على أرضه، وأن له الحرية فى تقرير مصيره. وأنه قد آن الأوان، لتستقل جمهورية الشاشان عن الاتحاد السوفيتى - السابق -

رد فعل إعلان استقلال الشاشان على روسيا :

علمت روسيا بنبأ إعلان استقلال الشاشان عنها، فجن جنونها، وتملكها الغيظ، وأكل الحقد قلبها، فقررت أن تبقى هذه الجمهورية تابعة لها، فعملت على القضاء على الإستقلال، قبل مولده، وذلك بما يأتى :

أولاً : الإيعاز إلى شعب الأنجوش بالانفصال عن الشاشان .

ثانياً : فرض حصار سياسى على جمهورية الشاشان .

ثالثاً : حشد قوات روسية على حدود الشاشان .

رابعاً : مساعدة الحزب المعارض لحكم (دوداييف) الإسلامى .

خامساً : التدخل العسكرى .

ونوضح هذه الردود .

أولاً : الإيعاز إلى شعب الأنجوش بالانفصال عن الشاشان :

أوعزت روسيا إلى أهل الأنجوش بالانفصال عن جمهورية الشاشان، فى محاولة لإضعاف قوة الشاشان، واجهاض استقلالها . وذلك فى خلال الفترة من سنة ١٤٠٠ إلى سنة ١٤٠١هـ، ووعدت السلطات الأنجوشية، باستعادة أراضيهم فى جمهورية أوستينا[١]، ومنتهم الأمانى . حتى خالت عليهم اللعبة، وظن أن العدو قد صفا

---

(١) منطقة تقع فى جبال القوقاز، وقد قام الروس إمعاناً فى تجزئة وتفتيت الشعوب التى حكموها، حتى تبقى ضعيفة تحت سيطرتهم، فقسموها إلى قسمين : شمالية، وجنوبية . والشمالية جمهورية ذات حكم ذاتى تتبع روسيا مباشرة . والجنوبية : ذات حكم ذاتى، وتتبع جمهورية جورجيا . وقد اعتنق القسم الأعظم من السكان الإسلام، والباقى ظل على نصرانيته - أنظر محمد السيد غلاب وزميليه : البلدان الإسلامية ص ٧٤٨ .

لهم، وأنه منفذ لهم ماوعد. وهذا وهم، محال، كمن يطلب الشهد من ثنايا ثعبان!!.

وأعلن الشعب الأنجوشى انفصاله عن جمهورية الشاشان، وقيام جمهورية لهم، تعرف بالجمهورية الأنجوشية، ذات حكم ذاتى، تابع للفيدرالية الروسية.

ومع انفصال جمهورية الأنجوش عن جمهورية الشاشان، لم يثن عزم الشاشانيين، عن مضيهم فى انفصالهم عن روسيا، ففى شهر يوليو سنة ١٩٩١م عقد المؤتمر الشعبى الثانى لجمهورية الشاشان، برئاسة الجنرال (جوهر دوداييف)، وتم فيه تبنى توصية باستقلال جمهورية الشاشان التام، وسيادتها على أراضيها.

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٩١م وقع الإنقلاب الفاشل فى «موسكو» - عاصمة روسيا - ضد الرئيس (جورباتشوف). وعلى أثره أعلن المؤتمر الشعبى الشاشانى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٩١م، حل البرلمان، وإعلان انتخابات برلمانية جديدة، وانتخاب رئيساً للجمهورية.

وتم ذلك بوجود مراقبين من جمهورية لتفيا، وروسيا، والدنمرك، وتقدم ثلاثة مرشحين لمنصب رئيس الجمهورية، من بينهم الجنرال (جوهر دوداييف)،

وشارك فى الانتخابات ٧٥٪ من الشعب، وأسفرت النتائج بفوز الجنرال (دوداييف)، بمنصب الرياسة بنسبة (٨٠٪) من بين المرشحين.

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩٩١م أقسم الرئيس (دوداييف) اليمين أمام البرلمان، وتم إصدار قرار استقلال الجمهورية، والسيادة على أرضها.

وأعلن الرئيس (دوداييف): أن نظام الحكم فى الشاشان جمهورى، وأن دستور الحكم، هو الشريعة الإسلامية الغراء. ومنع تطبيق القوانين الروسية فى الدولة، وقام بإنشاء قوات مسلحة للجمهورية[١]، وأصدر عملة إسلامية، وجوازات سفر للمواطنين كمظهر من مظاهر الاستقلال.

وأرى أنه من المفيد أن أذكر نبذة عن أول رئيس لجمهورية الشاشان الإسلامية،

من هو الرئيس «جوهر دوداييف»؟.

ولد جوهر دوداييف سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م في قازاخستان[٢] فى العام الذى حكم فيه «جوزيف ستالين» على شعب الشاشان بالهجرة من وطنه إلى قازاخستان، وسيبيريا، بتهمة باطلة، هى التجسس لصالح الألمان.

فعاش جوهر بعيداً عن وطنه، وتفتحت عينيه على الظلم الذى وقع على أهله، وتشريدهم من ديارهم وأموالهم، فانطبعت فى نفسه مشاعر الأسى والحزن، على ماأصاب أبناء وطنه، وتمنى فى نفسه

---

(١) جريدة «العالم الإسلامى» ص ١ عدد (١٣٨٦) السنة (٣١) الاثنين ١٠ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٩٤م.

(٢) قازاخستان: تقع فى وسط آسيا. يحدها من الشرق الصين، ومن الغرب نهر الفولجا وبحر قزوين، ومن الشمال سيبيريا ومن الجنوب صحراء وسط آسيا. سيد بكر: الأقليات المسلمة فى آسيا ص ٣١٣، د. محمد السيد غلاب: مرجع سابق ص ٣٥٣.

أن يكون من الرجال الذين يدافعون عن قضاياهم. وقد تحققت أمنيته.

تربى فى معاهد السوفيت، بعيداً عن وطنه، وعاش سنوات حياته الأولى فى شمال (قازاخستان)، وأظهر تفوقه العلمى، فى تحصيل الدروس، ثم التحق بأحد المعاهد العسكرية السوفيتية، وتخرج فى مدرسة (تامبوف العليا)، تخصص هندسة الطيران العسكرى، ثم أكمل درساته فى أكاديمية (يُورثى جاجرين الجوية) بجورجيا. وتخرج منها برتبة «لواء». وأسندت إليه قيادة القاذفات الاستراتيجية، المتمركزة فى (تارتو) بجمهورية (استونيا) فى الفترة من سنة (١٣٩٧ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٧ - ١٩٩٠م).

ظن الروس أن (دوداييف) قد انسلخ عن عقيدته وانتمائه لوطنه، حيث إنه وُلد بعيداً عنه، وتربى فى معاهد الشيوعية، غير أن الرجل غرس فيه منذ الصغر، بذرة الولاء، والانحياز لدينه، ومواطنيه. وهو بذلك يختلف عن زعماء كثيرين، جرفهم التيار الشيوعى، فساروا فى فلكه، وطوع أمره، حتى ولو كان ذلك على حساب عقيدتهم، ووطنهم مثل: (عمر افتورخانوف) - رئيس البرلمان الروسى السابق -، و(بسلان غانتا ميروف) - رئيس بلدية «غروزنى» - السابق.

لم ينس «جوهر دوداييف» ما فعله الشيوعيون بأهل الشاشان، عندما قاموا بإخلاء مناطق الشاشان والأنجوش، من سكانها، حيث مات أغلب السكان فى الطريق.

وظلت هذه الصور أمام عينيه، لاتغيب لحظة، تذكره بما فعل

هؤلاء السفهاء، وتطلب منه أن ينتقم منهم، فتمكن من فرض قدراته ومواهبه على رؤسائه العسكريين السوفيت، فأسندوا إليه قيادة أحد أجنحة القاذفات الاستراتيجية فى الجيش السوفيتى، ثانى أكبر قوة عسكرية فى العالم - فى ذلك الوقت -، وهو فى سن السادسة والثلاثين من عمره.

وأظهر (دوداييف) مهارات عظيمة، تؤهله لتولى الزعامة فى تلك السن المبكرة.

وحين أسندت إليه القيادة السوفيتية، قيادة القاذفات الاستراتيجية، المتمركزة فى (تارتو) - بجمهورية استونيا -، تعاطف مع أهلها، الذى تعلم لغتهم، وشعر بمشاعرهم، ولم يُطع الأوامر، التى صُدرت له بإغلاق التليفزيون، والبرلمان فى (استونيا) فى آخر أيام الإتحاد السوفيتى سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

وعندما انسحب الفيلق، الذى كان يعمل فيه من (استونيا) سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ،ولم يُعد إلى (قازاخستان)، بل عاد إلى بلده (الشاشان)، واستقر فى العاصمة (غروزنى). واهتم بقضايا بلاده. ثم أُختير رئيساً للجنة التنفيذية فى المجلس الوطنى الشعبى الشاشانى. وعمل كافة جهده من أجل تحرير بلاده من نير الحكم الروسى الفاسد. وأنه يتمثل فى جهاده بالشيخ: «محمد شامل» المجاهد البطل، الذى سبق الحديث عنه.

والذين يعرفون الرئيس (دودابيف) عن قرب، ومنهم: (ليونيدا سمير نياجين) - أحد مستشارى الرئيس الروسى (يلتسين) - يقول عنه: أنه يعتبر نفسه منقذاً لبلاده، ويتمثل بالشيخ شامل، الذى قاد

الثورة ضد الروس»[1].

وهذا الرجل يتمتع بولاء الشعب الشاشانى، وحبه الذى يتغلغل فى قلوبهم، فهم يلتفون حوله، ويطيعون أمره، وينفذون ما يطلبه منهم، وقد حاولت السلطات الروسية إقصاءه عن الحكم، أكثر من مرة، وفى كل مرة تبوء محاولاتها بالفشل.

وبعد أن تحدثنا عن حياة الرئيس (جوهر دوداييف) فى سطور، نعود إلى الحديث عن رد الفعل على روسيا، حين أعلنت الشاشان استقلالها.

عندما علمت روسيا بذلك لم تعترف بالاستقلال، بل أعلن رئيسها (بوريس يلتسين) فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٩١م. حالة الطوارىء، وقام بإنزال ألفين من قوات أمن الداخلية الروسية فى جمهورية الشاشان، لإلغاء الاستقلال، وإرغام الحكومة الشاشانية على العودة إلى السيطرة الروسية، ومعاقبتها على جرأتها فى إعلان الاستقلال.

لكن المجاهدين الشاشانيين تغلبوا على هذه المحاولة، وأحبطوا مؤامرات السلطات الروسية، فقد تصدوا لأفراد الحملة، وألجأوهم إلى تسليم أسلحتهم، ومعداتهم، ثم أسروهم. وبعد أيام تم ترحيلهم إلى «موسكو»، فعادوا من حيث أتوا.

وهكذا فقد باءت مساعى روسيا بالفشل.

---

(١) جريدة «اليوم» السعودية ص ٢٣ عدد رقم (٧٨٦٢) السبت ٢٢ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٩٤م.

ثانياً: فرض حصار سياسى على الشاشان:

بعد فشل الحملة التى أرسلتها روسيا، لإعادة الحكم من القادة المسلمين، فرضت حصاراً سياسياً شديداً على جمهورية الشاشان الإسلامية، إلى درجة أنها منعت رئيسها المسلم (جوهر دوداييف) من مغادرة البلاد، والاتصال بالعالم الخارجى.

وهذا سبب للدولة - كما نذكر مجلة المجتمع - أزمة حادة فى المواد الغذائية والطبية[1].

ثالثاً: حشد قوات روسية على حدود الجمهورية الشاشانية:

قامت روسيا بحشد قوات كبيرة من جيشها. تُرابط على الحدود الشاشانية، فى انتظار ذريعة للتدخل العسكرى فيها.

رابعاً: مساعدة الحزب المعارض للرئيس دوداييف:

قامت السلطات الروسية بدعم «المجلس الموقت» المتمركز على حدود البلاد مع روسيا الإتحادية، بزعامة (عمر افترخانوف) - زعيم القوات المعارضة لسياسة «دوداييف» الإسلامية. وهؤلاء المعارضون أكثر رغبة فى إعادة الجمهورية إلى الحكم الروسى.

تدخلت روسيا فى محاولة أولى للتدخل العسكرى يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٩٩٤م، ثم دخلت قواتها الشاشان تحت اسم المعارضة يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٩٤م، قوامها: ستون دبابة ثقيلة، تمكنت القوات المسلحة بقيادة الرئيس (دوداييف) من هزيمة قوات المجلس المؤقت، ودحرها فى معارك ضارية، وتم تدمير (٣٥) دبابة من

(١) ص ٦ عدد (١١٤٥) ٢٣ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٢٤ يناير سنة ١٩٩٥م.

دبابات العدو، واستسلم الباقى[1].

غير أن المؤامرة لم تنته بعد، وتعمل المعارضة على إعادة تنظيم نفسها، بمساعدة «موسكو»[2].

خامساً: التدخل العسكرى:

بعد أن فشل الحزب المعارض فى السيطرة على الحكم فى جمهورية الشاشان الإسلامية، تدخلت «روسيا» عسكريا، لإخضاعها بالقوة.

وهكذا نعلم أن روسيا، منذ أن أعلنت الشاشان استقلالها، وتولى قيادتها رئيس مسلم، يحكم شرع الله فى المسلمين؛ جن جنونها، وذهب بها الخوف كل مذهب، حيث إنها خشيت أن يدفع استقلال الشاشان جيرانها من جمهوريات القوقاز المسلمة. وهذا ما يكلف روسيا الشيء الكثير، حيث إنها تفقد السيطرة على جزء عزيز، وهام. فهذه البلاد غنية بالنفط[3]، ومعادن الذهب، ومناجم الحديد، والفضة، وغيرها من المواد الأولية، بالإضافة إلى الثروات الزراعية، والحيوانية، ومعظم أراضى روسيا فقيرة فى هذه المواد.

وهذا هو العامل الأول، فى عدم موافقة روسيا على انفصال جمهورية الشاشان المسلمة. وقيامها بمحاولة ضمها بالقوة.

والعامل الثانى:

بالإضافة إلى غناء الشاشان بالثروات الزراعية، والمعدنية،

---

(١) جريدة «المسلمون» اللندية ص ٧ عدد (٥٢٤) ١٨ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر مقال بقلم (جوهر دوداييف): «القضية الحقيقية هى نفط الشاشان» بجريدة «اليوم» السعودية ص ٢٢ الأحد ٢٥ شوال سنة ١٤١٥هـ/ ٢٦ مارس سنة ١٩٩٥م.

ولاسيما النفط، فإنه يمر فى أراضيها الأنابيب، التى تحمل النفط الروسى، من أذربيجان وغيرها من الجمهوريات، إذن فكيف تسمح روسيا لهذه الجمهورية الصغيرة، أن تسيطر على المنبع، والمصب فى آن واحد.

والعامل الثالث:

إنه يمر كذلك فى أرض جمهورية الشاشان خطوط الشكك الحديدية، التى تربط روسيا بأذربيجان، وجمهوريات القوقاز، وسيطرة الشاشان على هذه المواصلات، يشل روسيا، ويقضى على حركة اتصالها بالجمهوريات المذكورة فى يسر وسهولة.

والعامل الرابع:

تملك جمهورية الشاشان أكثر المحطات الكهروذرية، التى تمد روسيا، وبلاد القوقاز بالطاقة الكهربائية.

والعامل الخامس:

سيطرة جمهورية الشاشان على مخلفات الجيش الأحمر، الذى كان يرابط على أراضيها، ومنها عدد من الصواريخ الهامة، التى حصل عليها الشاشانيون، بعد فشل انقلاب أغسطس الشيوعى سنة ١٩٩١م[1].

ولهذه العوامل وغيرها قرر الرئيس الروسى (بوريس يلتسين) التحرك العسكرى ضد الشاشان. وأعلن (جراتشوف) - وزير الدفاع

---

(١) جريدة «المسلمون» ص ٣ عدد (٥١٦) السنة (١٠) الجمعة ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٩٤م.

الروسى - أن الغزو الروسى للشاشان. عملية سهلة، وبسيطة، لم تكلفه شيئاً، ولم تستغرق سوى ساعتين بقوله: «إنه سيحتل غروزنى - عاصمة الشاشان - خلال ساعتين، بقوة مظلية»[1].

وهذه مهاترة كلفت روسيا، الشىء الكثير، فكيف به يقضى على مقاومة وجهاد شعب مسلم فى خلال ساعتين فقط. إن الشعب الشاشانى، شديد التمسك بدينه، وعقيدته[2]، يدافع عنها، ويُضحى فى سبيلها بكل نفيس وغال، ولو رجع (جراتشوف) إلى الوراء قليلاً، وقلب صفحات الماضى، لعلم أن هذا الشعب قوى وعنيد، ولاتستطيع جولة خفيفة، كالتى تحدث عنها، تعيده إلى حظيرة روسيا الاتحادية.

يذكر باحثان فرنسيان: «أن شعب الشاشان تميز بطابعه المتصلب، العنيد، والمعادى للأجانب. ويعترف جميع المرقبين السوفيت: أن الجمهورية الشاشانية هى أقوى معقل للإسلام، وأن سكانها، هم أكثر الشعوب تديناً فى الاتحاد السوفيتى[3].

وأمدت روسيا قوات المعارضة الشاشانية، ببعض القوات الروسية، للقيام بعملية انقلاب عسكرى، بقصد احتلال العاصمة (غروزنى).

ومنت روسيا زعيم المعارضة الشاشانية (عمر افترخانوف)، بتوليه حكم الدولة إذا نجح فى المهمة التى كُلف بها. . وكما لوح له

(١) جريدة «المسلمون» ص ٣ عدد (٥١٦) السنة (١٠) الجمعة ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٩٤م. .

(٢) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الإتحاد السوفيتى ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق ص ١٣١.

الروس بالأمانى ووعدوه بتحقيقها له . فقد مناهم هو أيضاً بإلغاء نظام الشريعة الإسلامية، الذى أعلنه الرئيس (جوهر دودابيف حين توليه حكم البلاد) وقال عمر : (إنه فى حالة توليه حكم الجمهورية الشاشانية، فإن القوانين الروسية، ستكون القانون الوحيد فيها»[1] .

وعلى هذه الأمانى والوعود المتبادلة بين الروس، وزعيم قوات المعارضة، قام أول هجوم على العاصمة (غروزنى)، تسانده الطائرات العمودية، وطائرات السوخوى الروسية .

ولكن الله - تعالى - نصر المسلمين، فقد أحبطوا هذا الهجوم، وتمكنوا من أسر (٧٠) أسيراً، مابين ضابط وجندى من الروس[2] .

علمت السلطات الروسية بفشل مساعيها فى احتلال العاصمة الشاشانية، والقضاء على الحكم الإسلامى فى الجمهورية . وإحلال محله حكم روسى، عن طريق تولية حكومة عميلة لهم .

وحين أعلن التليفزيون الشاشانى نبأ فشل الهجوم على العاصمة، وعرض صور الأسرى الروس، على شاشته . قام بعض المنافقين بتهدئة الرأى الروس، بأن هذه أكاذيب، افتعلتها السلطة الحاكمة فى الشاشان، وذلك بالقبض على مجموعة من الروس، يسيرون فى شوارع (غروزنى)، وإجبارهم على إرتداء الملابس العسكرية، لاعطاء إيحاء بأن روسيا ساندت الهجوم[3] .

غير أن أجهزة الاعلام الشاشانية، تمكنت من سحق هذه الحجة،

---

(١) جريدة «المسلمون» ص ٣ الجمعة ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ.
(٢) المرجع السابق .
(٣) جريدة «العالم الاسلامى» ص ١ عدد (١٣٨٥) السنة (٣١) الاثنين ٣ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٥ ديسمبر سنة ١٩٩٤م .

بنشر أسماء الأسرى، وأرقام وحداتهم، وصفوفهم فى الجيش الروسى، ومواقع كل منهم، وتحت إمرة من؟. فى الصحف المحلية. وبذلك أبطلت كل الأكاذيب، التى تنافس فى ترويجها الآفاقون، وعلم الجميع بها.

وكان من أثر ذلك أن ثار الرأى العام فى روسيا، وبناء عليه، وتحت الضغط الحكومى، والشعبى، قام ،وزير الدفاع (جراتشوف) بالذهاب إلى الرئيس (جوهر دوداييف). يترجاه فى إطلاق سراح الأسرى.

وهذه مهمة صعبة، تجرع فيها الوزير الروسى، الأسى، فهو الذى أعلن من قبل أن تصفية الشاشان، لايستغرق إلا ساعتين. وهو الآن يصطدم بالواقع المرير، ويعرف أنه أمام جندى مسلم، يقود إخوانه المسلمين، فى تحرير بلاده من براثن الشيوعية، ويسير بها إلى بر الأمان والسلام. ويحضر الوزير الروسى يستعطف الرئيس المسلم، فى إطلاق صراح الأسرى الروس.

وهذا يدل دلالة قطعية على اعتراف روسيا بأن الهجوم الفاشل، اشتركت فيه قوات نظامية روسية، وإلا فهل يتوسط وزير الدولة العظمى، من أجل إطلاق سراح مرتزقة، وداخل حدوده الإقليمية؟!.

والتقى الجنرالان (جوهر، وجراتشوف) فى جمهورية «أنجوشيا» - المجاورة للشاشان - فى يوم الأربعاء ٧ ديسمبر سنة ١٩٩٤م. وكان اللقاء بينهما ودياً، مما جعل الآمال تنعقد على إنهاء القضية بالحل السلمى، غير أنها تبددت، وعصفت بها الرياح فى مكان

سحيق، بعد أن سلّم الرئيس (دوداييف) الأسرى، لوزير الدفاع الروسى، الذى أعلن أنه لاتدخل عسكرى روسى فى الأراضى الشاشانية «واتفقا الطرفان على أن القضية الشاشانية، قضية سياسية، وليست عسكرية، ويجب حلّها بالمفاوضات السياسية»[1].

وكان الرئيس الشاشانى على يقين من تدخل روسيا العسكرى، فالروس لايعرفون الوفاء بالعهود، ولا يلتزمون بالمواثيق، فقد قال للوزير الروس، حين ودعه (نحن عسكريون، نفهم بعضنا البعض، إنك كوزير دفاع ستنفذ ما تُؤمر به. وأنا أفهم ذلك، ولكن علينا كجنرالات، ألا نعطى للساسة الفرصة، أن يحركونا كما يريدون)[2].

وبالرغم من ذلك الإتفاق إلا أنه فى يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٩٤م، بدأت العمليات العسكرية البرية، تساندها الضربات الجوية المتتالية. وظن الروس أنهم سيفتحون الجمهورية، خلال يومين، وستنتهى القضية بدون أى ردود فعل داخلية، أو خارجية. ويدخل الرئيس الروسى (بوريس يلتسين) المستشفى، ريثما تنتهى العمليات العسكرية حسب اعتقاده.

وتتطور الأمور حتى أصبحت مواجهات عسكرية، شاملة، بين الجيش الروسى المقاومة الشعبية الشاشانية، ودخلت القوات الروسية، التى قُدرت بثمانين ألف جندى، وألف دبابة، منها (ستمائة) دبابة ثقيلة[3]. تقدمت على ثلاثة محاور، وتتم المفاجأة حيث يقاوم الشعب الشاشانى، ويسانده شعب الأنجوش الشقيق.

---

(١) «المسلمون» ص ٧ الجمعة ١٨ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.
(٢) «المسلمون» ص ٣ الجمعة ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٩٩٤م.
(٣) المسلمون ص ٧. الجمعة ١٨ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.

أحداث الغزو الروسي لجمهورية الشاشان :

بدأت هذه الأحداث بالهجوم الشرس على العاصمة: (غروزنى)، وقبلها سبقت أن دخلت قوات روسية فى العاصمة، فى محاولة للقضاء على الحكم الإسلامى، برياسة الرئيس المسلم (جوهر دوداييف)، ومساعدة الحزب المعارض فى الوصول إلى حكم الجمهورية. حيث دخلت هذه القوات العاصمة ومعها (ستون دباب)، فتصدى لها المجاهدون الشاشانيون ببسالة وفدائية، حتى تمكنوا - بفضل الله تعالى - من تحطيم هذه المؤامرة، وتدمير (٣٥) دبابة من دبابات العدو، والاستيلاء على الباقى[١]- وسبق بيان ذلك-

وحين علمت السلطات الروسية، بفشل مؤامراتها مع الحزب المعارض، عضت على النواجذ، وكشرت عن أنيابها، وشعرت بالخطر يحدق بها، كيف لهذه الجمهورية الوليدة، أن تقف أمام روسيا وجبروتها، وأن ذلك سوف يجعل موقفها حرجاً أمام العالم، ويسقط هيبتها من النفوس، فأصدر رئيسها (يلتسين) أوامره المشددة إلى القادة العسكريين فى الجيش الروسى، بالتدخل الروسى فى جمهورية الشاشان، وتدمير عاصمتها تدميراً كاملاً، حيث هى مقر الحكم الإسلامى المعارض لروسيا، وبها قصر الرياسة ومستقر الجيش الشاشانى، الذى أعلن على لسان رئيسه انفصاله عن الاتحاد السوفيتى الشيوعى، وقيام الجمهورية الإسلامية.

وظن الرئيس الروسى: أن تحطيم العاصمة (غروزنى)، تمكنه

(١) «المسلمون» ص ٧ رقم (٥٢٤) ١٨ رمضان سنة ١٤١٥هـ.

من وقوع الجمهورية فى قبضة يده سريعاً .

وتحركت القوات الروسية بدباباتها وطائراتها فى فجر يوم الأحد ٨ من شعبان سنة ١٤١٥هـ/ الموافق ٩ يناير سنة ١٩٩٥م، وهجمت هجوماً شرساً على العاصمة، غير أن المجاهدين الشاشانيين قاوموها ببسالة وشجاعة، وفدائية، وأحرزوا بطولات عظيمة، فقد أسروا المئات من الجيش الروسى، وقتلوا أكثر من (١٣ ألف جندى)، واستولوا على العديد من المعدات الحربية الروسية، وأسقطوا بعض الطائرات[١] .

وأمام إصرار وصمود الشاشانية فى الدفاع عن دينها، قامت القوات الروسية الظالمة، بضرب كل القيم والمبادىء الإنسانية، وحقوق الإنسان، عرض الحائط. ومارست أبشع أساليب القتل والدمار، ضد مسلمى البلاد، ودك المدن والقرى، ومارست سياسة الأرض المحروقة، واستخدمت الأسلحة الكيماوية، المحرمة دوليا، دون أدنى وازع من ضمير، أو خلق إنسانى .

ومع هذه الأساليب الوحشية، والأفعال الإجرامية، التى راح ضحيتها الألوف من الأبرياء المسالمين المدنيين، من رجال ونساء، وشيوخ، وأطفال. فقد وافق الغرب الصليبى بدوله، ومنظماته، وهيئاته، على هذا العدوان الغاشم، ووصفوا هذه المأساة الإنسانية الدامية، التى تشهدها أرض الشاشان، وحرب الإبادة، الموجهة ضد شعبها المسلم، بأنها «مسألة روسية داخلية»، لايصح للمجتمع

---

(١) تقرير عن الأحداث فى الشاشان، مرسل إلى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، بالمملكة العربية السعودية، وقد حصلنا على صورة منه، من مدير مكتب الهيئة بالاحساء بالسعودية . فجزاه الله خيرا .

الدولى التدخل فيها[١].

فقد أعلن (بيل كلينتون) - رئيس الولايات المتحدة - فى يوم الإثنين ١٠ من رجب سنة ١٤١٥هـ، الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٩٥م بأن مايجرى، ويحدث فى الشاشان، هو أمر داخلى يخص روسيا»[٢]. كما أعلن بطرس غالى أمين عام الأمم المتحدة نفس المقولة كذلك فرنسا وبريطانيا وألمانيا والدول الاخرى.

وهذا الموقف ليس فى حاجة إلى تعليق، سوى أن نقول: إن الغرب المسيحى يكره الإسلام والمسلمين، ويتآمرون على المسلمين، لإبادتهم فى كل مكان، فهم يخشون من الإسلام، وسيادته على العالم.

وبسكوت المجتمع الدولى، واغماض عينيه عن الأعمال الإجرامية، الوحشية، التى شهدتها عاصمة الشاشان، جعل الروس يتمادون فى غيهم، فأمطروا المدينة بوابل من القنابل والصواريخ.

كل هذا، والعاصمة، ظلت صامدة، تتحدى الجبابرة الطغاة، مع فارق كبير فى التفوق الحربى.

وهذا الصمود من المجاهدين الأبطال، الذين حملوا أكفانهم على أيديهم، دفاعاً عن دينهم وعقيدتهم، وحماية لأرضهم من أن يدنسها الروس، بشرْكه. هذا ماجعل الروس، يواصلون استخدام أسلحة الدمار والَخَرَابَ، حتى تمكنوا بعد أسابيع طويلة من تدمير معظم مناطق العاصمة، وتحويلها إلى كومة من الرماد، ينبعث منه

---

(١) جريدة «العالم الإسلامى» الأسبوعية، ص ٣ الإثنين ٧ من رمضان سنة ١٤١٥هـ.
(٢) جريدة «المسلمون» ص ٣ (٥١٦) السنة (١٠) الجمعة ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ.

دخان كثيف أسود، يتصاعد إلى السماء، يشتكى إلى الله - تعالى - ظلم الروس المعتدين.

وإزاء ذلك أمر القائد المسلم، الشجاع (جوهر دوداييف) - رئيس جمهورية الشاشان، وقائد حركة الدفاع عنها، بنقل بعض الفرق إلى مناطق أخرى، لاستمرار المقاومة ضد المعتدين.

وتذكر التقارير، المرسلة من ميدان الجهاد فى الشاشان، إلى جريدة اليوم السعودية مايلى:

بعد أن قصف الروس العاصمة، حتى دمروها، تركها معظم المقاتلين الشاشانيين، واتجهوا إلى مناطق أخرى، لينظموا صفوفهم، ويستمروا فى مقاومتهم.

وليس معنى تركهم لها، أنهم هُزموا، واستسلموا، لا. إنهم لم يخرجوا منها إلا بعد مقاومة باسلة، شهد بها العدو نفسه، وصمود لامثيل له، رغم قلة عددهم وعدتهم.

ومعروف عن الشعب الشاشانى، قوة صموده، وتمسكه بحقه، والدفاع عنه[1]. فقد حاربوا روسيا القيصرية أكثر من (٤٠ عاماً)، وقتلوا حوالى نصف مليون جندى روسى، وفى المقابل استشهد من الشعب الشاشانى حوالى (٧٥٪)، ولكنهم لم يستسلموا.

وتفيد الأنباء الروسية، على الرغم من سقوط العاصمة الشاشانية، إلا أن هناك جيوب للمقاومة، لا تتوقف، وأن قتالاً عنيفاً لايزال يدور فى بعض مناطق العاصمة.

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ٢٤، ١٣١.

وأن القوات الروسية، لاتشعر بالأمن، ولا تنعم بالراحة فى العاصمة، خوفاً من حدوث مفاجآت، من المجاهدين الشاشانيين، فهم يدركون أنهم لن يتركوا عاصمتهم مدة طويلة، فى يد المعتدين، ويتوقعون بين لحظة وأخرى هجوماً عنيفاً عليهم.

ويوضح ذلك أحد الجنود الروس باعترافه «أنه يسير وسط أطلال العاصمة حذراً، لايعرف من أين يأتيه الموت، ويذكر أن المقاتلين الشاشانيين مثل الخفافيش[١]، يظهرون فجأة، ليقتلوا عشرات الجنود، ثم يختفون فجأة كذلك»[٢].

ولذا فقد أخذت روسيا حذرها، من مفاجآت الجيش الشاشانى الباسل، الذى زادته تدمير مدينته حماساً وقوة، وأشعلت لديه روح المقاومة. حيث جعلت (١١ ألف) مقاتل روسى، يتجمعون فى مراكز مقاومة الشاشان.

وأفاد المكتب الإعلامى لحكومة روسيا: «أن القوات الروسية، لاتزال أمامها فترة ليست بالقصيرة، لإخماد المقاومة. وكذلك اعترف بأن الغزو الروسى، الذى بدأ فى ١١ من ديسمبر سنة ١٩٩٤م، قد تخطط أن لايستمر لأكثر من أسبوع، ولكن المقاومة الشاشانية العنيفة وراء استمرار القتال حتى الآن»[٣].

وتذكر جريدة «العالم الإسلامى»، عن مصدر مسؤول فى وزارة

---

(١) الخفافيش: جمع خفاش، وهو طائر، يطير بالليل، ويُبصر الأشياء بالليل وفى الأجواء المعتمة بسهولة - ابن منظور: لسان العرب ج٢/ ٨٦٦ ط دار اللسان - بيروت.
(٢) جريدة «اليوم» ص ٢٥ عدد رقم (٧٩١٣) الاثنين ١٤ من رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٣ من فبراير سنة ١٩٩٥م.
(٣) المرجع السابق.

الدفاع الروسية، أن الخسائر التى مُنيت بها الجيوش الروسية فى جمهورية الشاشان أن القوات البرية ووحدات المظلات فقدت (٦٠٨) قتلى، و(٢٢٥٠) جريحاً. وذكر المصدر أن هذه الأرقام، لاتضم القتلى، الذين لم يتم التعرف على جثثهم. كما أنها لاتشمل خسائر وزارة الداخلية، والوحدات العسكرية الأخرى[١].

أحداث الغزو الروسى فى مدينة (ساماشكى):

امتدت أحداث الغزو الروسى، فى مدينة (ساماشكى)، التى تبعد عن العاصمة (غروزنى) بـ (٥٠كم)، وتقع قرب الحدود «الأنجوشية»[٢].

وقد قامت مصادمات عنيفة بين القوات الروسية المعتدية، وبين المجاهدين الشاشانيين، وأسفرت عن وقوع خسائر كبيرة فى الجيش الروسى، على الرغم من عدم تكافؤ القوتان، فالروس مجهزون بكافة الأسلحة والعتاد، والشاشانيون أعدادهم واستعدادهم، إذا ماقورنت باستعداد الروس، قليلة جدا.

ومع ذلك فالعقيدة الإسلامية لها أثرها الكبير فى تقوية المجاهدين الشاشانيين، والشد من أزرهم، حيث يعلمون أنهم يُقالتون فى سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الشيطان، والمقاتل الشاشانى، يدرك أنها إحدى الحسنيين، إما نصر على العدو الأحمر، وغنيمة، وإما الشهادة، ودخول الجنة، وكلاً وعد

---

(١) «العالم الإسلامى» ص ١٤، عدد رقم (١٣٩٤) السنة (٣٢) الإثنين ٧ من رمضان سنة ١٤١٥هـ/٦ من فبراير سنة ١٩٩٥م.
(٢) «العالم الإسلامى» ص (١٤) ٧ رمضان سنة ١٤١٥هـ.

الله الحسنى .

والمجاهد الشاشانى يعلم أنه يدافع عن دينه وعقيدته، وأرضه، وعرضه. أما المقاتل الروسى، فأكره الكثير منهم على دخول الحرب. بدليل أن كثيرين منهم تمردوا وأعلنوا ذلك بصراحة، والبعض قدم استقالته من منصبه .

من هؤلاء الذين استقالوا من مناصبهم، احتجاجاً على الأعمال الوحشية، التى ارتكبها المجرمون الروس : الجنرال : (سافين) .

كما قامت بعض المظاهرات فى العاصمة الروسية (موسكو)، تعبر عن عدمَ رضى الكثير من الروس، على الأفعال الوحشية فى جمهورية الشاشان .

وذكر مراسل إذاعة (ليبرنى) الأمريكية، المتحدثة باللغة الروسية : أن المجاهدين الشاشانيين، قاموا بالهجوم الشديد على القوات الروسية المرابطة قرب (ساماسكى)، التى تبعد عن العاصمة «غروزنى» (٥٠كم) .

وذلك بقيام الروس بعدة تحرشات بالشاشانيين، وإصرارهم على تفتيش النساء، وإهانة كبار السن، من أصحاب الرأى، الذين احتجوا على ارتكابهم أعمالا منافية للعادات الإسلامية .

وهذا ما جعل المجاهدين الشاشانيين يهبون كالأسود الضوارى، على القوات الروسية، وإحراق ست شاحنات، ومدرعة، وتكبيدهم خسائر فادحة، مما دفع الروس بضرب المدينة بطائرات الهليكوبتر والصواريخ[1] .

---

(١) «العالم الإسلامى» ص ٣ .

وهذا عمل إجرامى فظيع، راح ضحيته الألوف من الأبرياء، من الرجال والنساء، والأطفال، وتدمير المساكن، واتلاف الحرث والنسل.

وقامت حكومة (موسكو) بتلافى الأخطاء السابقة، وذلك بتعيين (نيولاى سيحونوف) رئيساً جديداً للإدارة الإقليمية فى الشاشان، برتبة (نائب رئيس وزراء روسيا الاتحادية).

وكان هذا الرئيس الجديد أميناً أول للجنة «الحزب الشيوعى» فى العاصمة الشاشانية، لمدة عشر سنوات سابقة[1].

ومازالت القوات الشاشانية تناضل، وتكافح من أجل دينها، وأرضها، وعرضها، وتستميت فى ذلك، وقد اعترفت القوات الروسية نفسها بتلك المقاومة، وذلك الصمود، على الرغم من عدم تكافؤ القوتان.

وذكرت وكالة (انترفاكس) للأنباء، تقرير حكومة روسيا، عن خسائرها فى حرب الشاشان، حتى يوم السبت ٥ من رمضان سنة ١٤١٥هـ، الموافق ٤ من فبراير سنة ١٩٩٥م (٤٨٣٦) قتيلا، و(٣٣٣) أسيراً. غير أن هذه الأعداد أقل كثيرا من الحقيقة.

ثم ذكرت الوكالة اعتراف الحكومة الروسية بأن المقاومة الشاشانية لم تَضْعُف على الرغم من تفوقهم فى المعدات والأفراد.

---

(١) المرجع السابق.

أحداث الغزو في مدينة (فلاديفقاس):

هذه المدينة المسلمة، الآمنة، التى يسكنها شاشان مسلمون، قامت قوى الشر والبغى والضلال الروسية بتوجيه قوة كبيرة، قامت بتدمير جميع مدارسها، ومعاهدها العلمية، وجوامعها، باعتبارها منارة الإسلام، وصوت الحق، الذى ينطلق منها، مُدوياً فى الآفاق، مُعلناً الوحدانية لله - عز وجل -، غير أن الشيوعية الملحدة، لاتعرف لها رباً، ولا تدين بدين؛ شعب جُرد من كافة القيم والمبادىء، والمثل. قلوب أهله لا تعرف للرحمة، ولا للشفقة طريقاً. وكيف تعرف قلوب هؤلاء المثل العالية، وهى كالحجارة، بل أشد قسوة.

كما هدموا، وأحرقوا أكثر من (٢٠ ألف) مبنى مأهول بالسكان المدنيين، المسالمين، العزل.

وقامت هذه القوات الوحشية باغتصاب نحو (٣٠٠) فتاة، وأسر (٨ آلاف) من السكان.

ولم تتورع هذه القوات المنزوعة الرحمة من قلوبهم، عن تقطيع أطفال هؤلاء الأسرى أمام أعينهم، إلى قطع صغيرة، وإلقائها للخنازير، قائلين للمسلمين فى تهكم وسخرية: (أنتم لا تأكلون الخنزير، وهو يأكلكم اليوم)[1].

وقاموا كذلك بدفن (٦٠ طفلا) رضيعا، أحياء، وهتكوا أعراض أطفال، أمام أمهاتهم، ومن كانت تعترض منهن، يقطعون أذنها

(١) العالم الإسلامى ص ٣ (٧ رمضان سنة ١٤١٥هـ)، مجلة «المجتمع» الكويتية ص ٢١ عدد (١٢٣٣) شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٠ يناير ١٩٩٥م.

ولسانها!!

وقطعوا عورات الرجال، وأثداء النساء، ومثلوا بالأحياء، إلى حد انتزاع الأحشاء، والقلوب، والكلى من أصحابها، وهم مازالوا أحياء، وأحرقوا العديد من السكان، ووأدوا كثيرين منهم أحياء فى حفر!!

وأسفرت هذه الهجمة الوحشية على هذه المدينة عن (١٥ ألف) قتيل ومفقود، وفرار (٥٥ ألف) مسلم إلى شعاب الجبال، فى درجة بروده قاسية، بلغت (٢٠ درجة تحت الصفر). ويهدد (١٠ آلاف) منهم خطر الموت جوعاً على رأس أحد الجبال، التى أغلق الثلج الكثيف الطريق إليه.

وأكدت التقارير الواردة من جمهورية الشاشان، على وجود أدلة مادية على استخدام الروس الأسلحة الكيماوية فى هذه المجزرة ضد سكان هذه المدينة[١].

أحداث الغزو فى مدينة (أرغون):

تقع هذه المدينة شرق العاصمة (غروزنى)، وتبعد عنها ١٥٠كم). وقد قامت روسيا منذ بداية غزوها لجمهورية الشاشان، بوضع قوات أمام هذه المدينة.

وكانت هذه القوات، تشن هجوما على المدينة، بين الحين والحين. غير أنهم فى صباح الجمعة ٩ شوال سنة ١٤١٥هـ، الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٩٥م قاموا بقصف المدينة قصفاً مدفعياً

(١) مجلة «المجتمع» الكويتية الأسبوعية ص ٢١ عدد رقم (١١٣٣) ٩ من شعبان سنة ١٤١٥هـ.

مركزاً، أشد كثافة عن سابقه.

وبدأ الهجوم فى الساعة التاسعة والنصف بالتوقيت المحلى، واستمر لمدة ساعة كاملة، بمعدل قذيفة كل خمس أو عشر ثوان[1].

ولم تتورع سلطات الاعتداء الروسى عن تدمير قرى الريف، وإتلاف الزروع، وقتل المواطنين، وإبادة حيواناتهم.

ليس هذا فحسب، بل بلغ من جُرمهم وتعسفهم أنهم قصفوا بمدفعيتهم العربات، التى تنقل اللاجئين الشاشانيين من المدن والقرى التى أبادوها إلى خارج الجمهورية. كما أنهم قصفوا مفارق الطرق، وينابيع الحياة بالصواريخ، ودمروا شبكات الكهرباء والمياه، وجميع مرافق الحياة، حتى دور العلاج التى يُعالج فيها المواطنون من جراء عدوانهم. ولم يبقوا شيئاً له منفعة بالمواطنين إلا ودمروه[2].

وتمكنوا من السيطرة على المعاقل الشاشانية الثلاثة: (أرغون، وجودرميس وشالى)[3].

وهكذا شن الروس هجوماً عنيفاً على مدن وقرى الشاشان، ودمروها، وانتقلوا من واحدة إلى أخرى، فى عملية إبادة فظيعة.

وقد اضطر لهذا المجاهدون الشاشانيون إلى الانتقال للجبال، وجعلها مركزا للمقاومة، وشن الغارات على المحتل.

وكانت الجبال، وماتزال معقل المجاهدين قديماً وحديثاً، وفى

---

(١) جريدة «اليوم» ص ٢٦ عدد (٧٩٣٩) السبت ١٠ شوال سنة ١٤١٥هـ/ ١١/ ٣/ ١٩٩٥.

(٢) من تقرير كتبه (لى هوكستار) مراسل الواشنطن بوست فى جروزنى. جريدة اليوم ص ٢٣ الأربعاء ١٦ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٥/ ٢/ ١٩٩٥م.

(٣) جريدة «اليوم» ص ٢٥ الأحد ٢ ذو القعدة سنة ١٤١٥هـ/ ٢ أبريل ١٩٩٥م.

هذه الأيام أقبل فصل الربيع، وأزال بدفئه ثلوج الجبال، مما يجعلها أعظم مكانا لمناهضة الروس.

وسوف يكون النصر فى النهاية - بإذن الله تعالى - للمسلمين، ﴿وماالنصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[١]. و﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[٢].

---

(١) آية ١٢٦/ آل عمران.
(٢) آية ٢٤٩/ البقرة.

الفصل الثامن

الموقف الدولي تجاه الغزو الروسي لجمهورية الشاشان



غزو الروس للشاشان

إن غزو الروس للشاشان، بعد ثلاث سنوات من إعلان استقلالها عن روسيا الإتحادية، كان مفاجأة للعالم، إذ كيف تعترض دولة على انفصال دولة أخرى عنها؟، بعد مضى سنوات طويلة، وقطعت الدولة المستقلة شوطاً كبيراً فى تقدمها ورقيها، فقامت بتكوين جيش خاص بها، يدافع عن بلادها، ويصون حماها!!.

وأصدرت عملة خاصة بها، واستخرجت جوازات سفر لمواطنيها، كمظهر من مظاهر الاستقلال، وطوروا اقتصادهم، واستعانوا بخبرتهم فى بناء دولتهم، وتحقيق ذاتها.

ولما وقفت هذه الدولة المستقلة على قدميها، شامخة مُتحدية الصعاب، والمشاق التى فرضتها روسيا عليها، من أوجه عرقلة تقدمها، كالحصار السياسى، الذى فرضته عليها، ومنع اتصال رئيسها بالعالم الخارجى، ومُرابطة قوات روسية، على حدودها، كل هذا وغيره تهدف من ورائه روسيا إلى عرقلة نمو جمهورية الشاشان، وإجبارها على العودة إليها.

ولما تخطى الشاشانيون الصعاب، وشمروا عن ساعد الجد، وانطلقوا بعزيمة مُخلصة، يبنون دولتهم، ويُشيدون صرح حضارتهم. قامت روسيا بالهجوم عليهم، وغزو بلادهم، حيث أن الشاشان غنية بالثروات ولاسيما البترول، واحتياطى النفط يمثل نسبة عالية، فأرادوا أن ينتفعوا به. بالإضافة إلى أن بأرض الشاشان تمر أنابيب البترول من جمهوريات القوقاز، وغير ذلك من عوامل

وأسباب سبق أن ذكرناها عند حديثنا عن الفصل السابق (الغزو الروسى للشاشان فى الوقت الحاضر).

وأما عن الموقف الدولى تجاه هذا الغزو، فنقسمه إلى قمسين:

أولاً: موقف العالم الإسلامى:

تأثر المسلمون فى كل مكان بالاعتداء الروسى على جمهورية الشاشان الإسلامية، تأثراً كبيراً، بلغ به أن بكت العيون دماً، وانخلعت القلوب من الضلوع، لهول ما يفعله المعتدون من أعمال فظيعة، وجرائم وحشية، ضد شعب الشاشان المسلم المسالم.

وهذا التأثر طبيعة فى نفس كل مسلم، فعندما يُصاب مسلم، أو دولة مسلمة بأذى، فإن كل المسلمين يتأثرون له ولها، فالأمة الإسلامية كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، قامت له سائر أعضاء البدن، بالسهر والحمى. يقول الرسول - ﷺ -: **(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)**[1].

وما بالنا إذا كانت الدولة المعتدية، لاتدين بدين، ولاتعرف الرحمة سبيلاً إلى قلوب أهلها، وهى تخطط للقضاء على دولة مسلمة، وتُحاول أن تُبيد شعبها أو تنصيرهم.

لذا كانت فاجعة المسلمين فى مصاب اخوانهم فى الشاشان أليماً

---

(١) الإمام مسلم: فى صحيحه ج٤/ ١٩٩٩ كتاب البر والصلة طبعة الحلبى. القاهرة. الإمام البخارى: فى صحيحه ج١٠/ ٤٥٢ طبعة الريان - القاهرة سنة ١٤٠٨هـ.

وقاسياً، فالكل متأثر لذلك، ويتابعون أخبارهم باهتمام بالغ، وحرص شديد، وإذا سمعوا عن صمودهم وقوة مواجهتهم لأعدائهم، فرحوا واستبشروا، وإن سمعوا غير ذلك جزعوا جزعاً شديداً، ودعوا الله لهم بالنصر والغلبة.

وهذا الاهتمام بأمر مسلمى الشاشان طبيعة حث عليها الدين الإسلامى الحنيف، قال رسول الله - ﷺ -: **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»**[1].

والاهتمام بأمر المسلمين ليس عادياً، ولكنه «فرض عين»، على كل مسلم قادر أن يُغيث المستغيثين، ويأخذ بأيدى المستضعفين، ويُدعم الضعفاء والمحتاجين، ويقف معهم فى قضيتهم العادلة، لأنهم جزء لايتجزأ من الأمة الإسلامية، وأعضاء من بدنها.

وقد عبرت الدول الإسلامية عن رفضها التام للغزو الروسى لجمهورية الشاشان، واستاءت من ذلك، ونددت بالغزو، وطالبت روسيا بالتوقف عن التدخل العسكرى، وترك الشعب الشاشانى يقرر مصيره، وهو قد اتخذ طريقه من قبل، منذ ثلاث سنوات، وقطع شوطاً كبيراً فيه.

وقامت منظمات وهيئات العالم الإسلامى بالتنديد، لما تفعله روسيا من جرائم وحشية، وأعمال منكرة، ضد شعب مسلم أعزل.

وناشدت المجتمع الدولى، التدخل لوقف حمامات الدم، والمجازر، وعمليات التخريب والتدمير فى الشاشان.

(١) أبو بكر الهيثمى: مجمع الزوائد مجلد ٥ ج١٠/٢٤٨ ط دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٦٧م. الشوكانى: الفوائد المجموعة ص٧٣ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

ومن بين هذه الدول: «المملكة العربية السعودية» فقد أعلنت رفضها للغزو الروسى للشاشان وأدانت هذا الغزو الغادر، والاعتداء الغاشم عليها. كما أعربت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى، بمكة المرمة عن أسفها، للتدخل الروسى فى الشؤون الداخلية لجمهورية الشاشان، ومحاولات روسيا المستمرة للسيطرة على أرضها، وعلى شعبها، لإلغاء استقلاله، الذى أعلنه عن روسيا الاتحادية.

وقال المتحدث الرسمى باسم رابطة العالم الإسلامى، إن التدخل فى جمهورية الشاشان، وقصف أراضيها، ومحاصرة حدودها بالقوات الروسية العسكرية، والاستعداد لاحتلالها، وتغيير حكومتها القائمة بالقوة، أمر يتنافى مع سائر الأعراف الدولية.

كما أن هذه الاجراءات الروسية، جاءت ضد رغبة الأغلبية من أبناء الشعب الشاشانى، الذى أعلن بلسان قادته (أنه مصمم على رد الاعتداء، والمحافظة على استقلاله الكامل).

ودعا المتحدث كذلك إلى حل المشكلات السياسية بين حكومة الشاشان، وحكومة روسيا بالوسائل السلمية، دون اللجوء إلى القوة.

وأهاب المتحدث بحكومات العالم الإسلامى، والحكومات المحبة للعدل، أن تسرع فى اعترافها باستقلال جمهورية الشاشان، التى صوّت شعبها - قبل ثلاث سنوات - مُعلناً رغبته فى الاستقلال[1].

---

(١) جريدة «العالم الإسلامى» ص ٣ عدد (١٣٨٧) السنة (١٠) الاثنين ١٧ رجب سنة ١٤١٥هـ.

كما أوضح المتحدث أنه فى الوقت الذى يحتفل به العالم الغربى، بالعام الميلادى الجديد، رافعاً شعارات حقوق الإنسان، ومناصرة الشعوب، فى نيل حق تقرير المصير، تنطلق الطائرات، لتصب الجحيم على السكان الآمنين، فى جمهورية الشاشان، التى رغب شعبها فى ممارسة حقه فى تقرير مصيره.

وطالبت رابطة العالم الإسلامى، «منظمة المؤتمر الإسلامى» وحكومات الدول الإسلامية، بالسعى لوقف الهجمات الروسية، وقصف المدن والأحياء الآمنة، والقرى فى جمهورية الشاشان.

كما طالبت: «منظمة حقوق الإنسان»، بالسعى لدى الهيئات الدولية، وحكومات الدول الكبرى، لوقف الأعمال الروسية، واللجوء إلى المفاوضات، لحل النزاع القائم[1].

وأكدت «الأمانة العامة برابطة العالم الإسلامى»، واجب المسلمين فى العالم للاستجابة، لدعوة سماحة الشيخ «عبد العزيز ابن باز» - مفتى عام «المملكة العربية السعودية»، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارات البحوث العلمية والإفتاء -، للتبرع لشعب الشاشان لمساعدته على مقاومة العدوان.

وذكر المتحدث الرسمى باسم الرابطة، تجىء دعوة سماحة مفتى عام المملكة للمسلمين، من أجل نجدة شعب الشاشان، الذى يتعرض للظلم والعدوان، فى وقت يكتفى فيه العالم بمشاهدة مايجرى فى بلاد الشاشان، دون العمل على إيقاف العدوان، والظلم، والأعمال الوحشية، التى تتعرض لها المدن، والقرى

---

(١) مجلة المجتمع ص ٢٠ عدد رقم (١١٣٣) ٩ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٠ يناير سنج ١٩٩٥م.

وأن مساعدة شعب الشاشان الصامد بالمال، والمواد الإغاثية والإنسانية من أعظم الأعمال الصالحة، وهؤلاء هم من أحق الناس بالمساعدة بالزكاة.

وناشدت الرابطة المسؤولين فى العالم الإسلامى، وأثرياء المسلمين أن يشدوا أزر شعب الشاشان، وهم يُعانون من الحرب والعدوان، ويُقاسون من الجوع والتشريد مُشيراً إلى أنهم فى أشد الحاجة إلى الطعام والكساء والدواء[1].

وقامت «منظمة المؤتمر الإسلامى»، وهى هيئة إسلامية عالمية، مقرها مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، بتوجيه نداء، وجهته إلى سلطات (موسكو)، بوقف الهجوم العسكرى على الشاشان فوراً، وحل المشكلة عبر المفاوضات[2].

ومن الدول الإسلامية التى استنكرت الغزو الروسى للشاشان «جمهورية مصر العربية» فقد تأثر شعبها وغضب لما يحدث لشقيقه شعب الشاشان، من إبادة، وتدمير لحضارته، وسحق لمدنه وقراه، فى هجمة وحشية، قام بها الروس الطغاة.

وأعلنت مصر أن ما يحدث فى الشاشان، يمثل اعتداءً واضحاً على أبسط حقوق الإنسان، واستخفافاً ظاهراً بأحكام القانون الدولى.

---

(١) جريدة «اليوم» ص ٤ عدد رقم (٧٩٧٦) الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٤١٥هـ - ١٧/ ٤/ ١٩٩٥م.

(٢) مجلة المجتمع ص ٣١ عدد رقم (١١٣٤) ١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ - ١٧/ ١/ ١٩٩٥م.

وأعربت جريدة «الأهرام»: إن مأساة شعب الشاشان المسلم، تعكس حجم التواطؤ، والإهمال والتعصب، الذى يسيطر على قمة مايسمى بمشروع النظام العالمى الجديد، والذى تلعب أوربا، وحلف الأطلنطى دوراً بارزاً فى محاولة تشكيله.

وإن وقف هذه المجازر الوحشية فى الشاشان ليس بالأمر المستحيل، ولكن المشكلة أن أحداً فى أوربا لم يهتز لما يحدث، وكان أقصى ما صدر من ردود أفعال محصوراً بين إبداء الأسف، كحد أدنى، وإطلاق عبارات الإدانة على استحياء، كحد أقصى[١].

واستاءت دول القوقاز المسلمة، لما يحدث فى الشان، وقامت كل منها بتقديم العون والمساعدة، لاخوانهم مسلمى الشاشان، وإرسال مقاتلين، إلى جوار إخوانهم المجاهدين الشاشانيين[٢].

وهذه الدول قامت بفتح حدودها لاستقبال اللاجئين من أبناء الشاشان، الفارين من جحيم الغزو الروسى. فقد فرّ الألوف إلى جمهورية الأنجوش، المجاورة، وإلى جمهورية داغستان، وإلى جمهورية أوستينا الشمالية، وغيرها من الدول.

وأعرب المسلمون فى جمهورية «قازاخستان» عن أسفهم، واستيائهم للغزو الروسى لأرض الشاشان، وتظاهر الآلاف من المسلمين فى العاصمة (ألماتا) يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٩٤م[٣].

كما عقد فى هذه الجمهورية ممثلو (١٦٠ ألف) شاشانى، يقيمون

---

(١) جريدة «الأهرام» المصرية ص ٣ عدد (١٧١١) الجمعة ٢ شوال سنة ١٤١٥هـ/ ٣/ ٣/ ١٩٩٥م.
(٢) أنظر مجلة «المجتمع» ص ٣١ عدد (١١٣٢) ٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٣ يناير سنة ١٩٩٥م.
(٣) «المجتمع» ص ٣٢ (٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ).

فيها، مؤتمراً لمناقشة الموقف فى الشاشان، وأكدوا أن روسيا تقوم بحرب إبادة ضد شعب الشاشان. وطالبوا الرئيس القازاخستانى بالتدخل لوقف الهجمة الروسية ضد شعبهم، والبحث عن مخرج سلمى للصراع، يضمن حق الشاشان فى ضمان السيادة[1].

وفى «إيران» طالب (محمد محمدى) - المتحدث باسم الخارجية الإيرانية، بضرورة البحث عن حل سلمى للأزمة، وذلك فى تصريحات أدلى بها فى يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٩٤م[2].

وفى «أذربيجان»، أعلنت الأحزاب، والقوى السياسية بشكل علنى وعملى، معارضتها للغزو الروسى للشاشان، علاوة على دعم كافة شعوب القوقاز، لاخوانهم الشاشانيين.

وفى تركيا، نظمت «جمعية مساندة الشاشانيين القوقازية» مظاهرة احتجاج فى العاصمة (استانبول) يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٩٤م، شارك فيها الآلوف من الشاشانيين، الذين فروا إلى تركيا منذ الحكم القيصرى الروسى، وعاشوا فيها.

وفى هذه المظاهرة تحدث الدكتور (جمال الدين أوميد) - رئيس الجمعية - مُنتقداً روسيا، وقال: إنه من الخطأ تصوير ما يحدث فى الشاشان، بأنه مسألة داخلية - كما أعلن الغرب الأوربى - وأكد أن الشاشان دولة مستقلة اليوم، وأن ليسوا معتدين، كما يصورهم الإعلام الغربى -، ولكنهم حصلوا على حقهم الطبيعى. وأنه إذا

(١) مجلة «المجتمع» ص ٢٥ عدد رقم (١١٣١) ٢٤ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٩٤م.
(٢) مجلة المجتمع ص ٣٢ عدد رقم (١١٣٢) ٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٣ يناير سنة ١٩٩٥م.

كانت لدى الجنود الروس، الدبابات والبنادق، فإنه الإيمان الذى يملأ صدور مسلمى الشاشان، يمكنه أن يواجه كل ذلك[1].

وطالب (ايتم بيقال) - رئيس جمعية شاشان القوقاز - كل مسلمى العالم، تقديم الدعم اللازم للشعب الشاشانى، ليمكنه مواجهة الغزو الروسى[2].

وقد ناشد المسلمون عن «دار الإفتاء» بجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، العالم الإسلامى، والمجتمع الدولى: التدخل لدى السلطات الروسية، من أجل إيقاف الحرب الدامية، التى تشنها فى جمهوريات الشاشان.

ووجه العلماء يوم السبت ٢٠ رمضان سنة ١٤١٥هـ الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٩٥م، عقب اجتماع طارىء عقدوه فى (موسكو)، لبحث الغزو الروسى للشاشان، نداءً للعمل من أجل وقف هذا الغزو، إلى كل من: الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامى، ورابطة العالم الإسلامى.

كما دعوا هذه الجهات إلى العمل لتقديم المساعدات الإنسانية، للمتضررين، من أبناء الشاشان من جراء الغزو الروسى.

ووضعوا برنامجاً لتقديم المساعدات الإنسانية فى إطار الهلال الأحمر، المقرر تأسيسه فى منظمة شمال القوقاز، التى تضم جمهورية الشاشان.

وقد ذكر الشيخ (عبد الله الحاج) - مفتى تتارستان، ورئيس مركز

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المجتمع ص ٢٥ عدد (١١٣١) ٢٤ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٤م.

التنسيق الأعلى للإدارات الدينية لمسلمى روسيا - أنه تم التوصل فى الاجتماع إلى وفاق تام بخصوص المطالبة، بوقف الحرب الشرسة ضد الشعب الشاشانى، وضرورة مد يد العون للمتضررين، والمهاجرين من أبناء الشاشان.

وكذلك وجه مفتى (تتارستان) الدعوة إلى حكومات، وشعوب الدول الإسلامية، إلى نصرة اخوانهم الشاشانيين، فى محنتهم الحالية[1].

وفى الأردن: أعلن المسلمون رفضهم للغزو الروسى لبلاد الشاشان، فقد وجه الشيخ (عبد الباقى جمو) - وزير الشؤون البرلمانية، وعضو مجلس النواب، والذى انتخب عضواً فى المجلس طوال ربع قرن، ورئيس «الجمعية الخيرية للشاشان»، نداءه إلى جميع الدول العربية والإسلامية، للوقوف إلى جانب شعب الشاشان، الذى تمسك بدينه على مدى التاريخ، وقدّم الشهداء فى سبيل رفع راية الإسلام خفاقة.

وهذا الشيخ من أصل شاشانى، هاجرت أسرته مع آلاف الأسر قديماً، واستوطنوا الأردن، فراراً من جبروت الحكم البلشفى فى الشاشان. ويوجد فى الأردن أكثر من (١٥ ألف) شاشانى[2].

وأكد زعماء الشاشان فى الأردن، أن التدخل العسكرى الروس فى الشاشان، سيؤدى إلى حرب شاملة، تشمل منطقة القوقاز بأكملها. . وقد بدأ المئات من المتطوعين الشاشانيين، والعرب

---

(١) جريدة «اليوم» ص ٢٦ عدد رقم (٧٩١٩) الأحد ٢٠ رمضان سنة ١٤١٥هـ/ ١٩/ ٢/ ١٩٩٥م.
(٢) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون فى الاتحاد السوفيتى ص ١٢٢.

بتسجيل أسماؤهم، ليشاركوا فى الدفاع عن جمهورية الشاشان.

ونكتفى بما ذكرناه من مواقف الدول العربية والإسلامية، من الغزو الروسى لجمهورية الشاشان، ورفضهم التام لهذا الاعتداء، والتنديد به، واعتباره خرقاً لحقو الإنسان فى الشاشان، والتدخل فى شؤون شعب اتخذ طريقه بنفسه، وارتضاه، وسار فيه بقيادة رئيسه المسلم (جوهر دودابيف).

وطالبت هذه الدول العالم بالتدخل، لوقف المجازر، التى تحدث على أرض الشاشان، بيد الزوس الظالمين.

وقدّم الكثير منهم العون والمساعدة فى صورة إعانات إغاثية، ومعدات.. وغير ذلك.

ثانيا: الموقف الأوربى:

معروف موقف الغرب الصليبى تجاه المسلمين، والدول الإسلامية، وهو أنهم يكرهون الإسلام والمسلمين، ويحاولون بكافة السبل، وشتى الحيل، القضاء عليهم،أو تذويبهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها، ومحو هويتهم الإسلامية.

والعداء قديم، قدم الإسلام نفسه. وفى العصر الحاضر، تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية، فسددوا إليها سهامهم فى كل مكان من جسدها، وما أن تفيق من جُرح، بادروها بآخر أشد وأنكى، حتى تظل مثخنة بالجراح، ولاتقوى على رد كيد الأعداء. فدماء المسلمين تنزف فى كشمير، وفى الفلبين، وفى فلسطين، وفى

الصومال، وفى البوسنة والهرسك، وفى الشاشان، وفى أجزاء كثيرة من بلاد المسلمين يجد المسلمون عداء المجتمع الدولى لهم.

وظهر ذلك بوضوح عندما اعتدت روسيا على جمهورية الشاشان بجحافلها، ومعداتها، وأسلحتها الفتاكة والمحرمة، لم يتحرك العالم الأوربى، بل أدار للقضية ظهره، وكأن الأمر لايعنيه، فى قليل أو كثير.

وضربت روسيا بكل القيم، والمبادىء الإنسانية، التى يتشدق بها العالم الغربى، ويعلن بين لحظة وأخرى حرصه الشديد على حماية حقوق الإنسان، وحرية الشعوب فى تقرير مصيرها.

وعندما تكون القضية تخص المسلمين، يُدير لها ظهره، ويُساند المعتدى عليها سراً، وعلانية.

فقد أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية - أكبر وأقوى دولة فى العالم-: (بيل كلينتون): «أن مايحدث فى الشاشان هو أمر داخلى، يخص روسيا»(1).

وهذا الإعلان من رئيس الولايات المتحدة، يدل على تآمر الغرب على الإسلام، والكيد له، ومحاولة القضاء عليه.

كما تواصلت ضغوط النواب والشيوخ الجمهوريين فى الولايات المتحدة، وهم يشكلون حالياً أغلبية الكونجرس، على الرئيس (كلينتون)، يطالبونه بالتحرك الفورى، لقطع المساعدات الأمريكية، عن روسيا، واصفين «يلتسين» بالتطرف.

(1) جريدة «المسلمون» ص ٣ عدد رقم (٥١٦) ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٤م.

ولهذا طلب كلينتون فى خطاب بعث به إلى يلتسين، وفقاً لما ذكرته صحيفة (حريت) التركية فى ١٨ يناير سنة ١٩٩٥م، بضرورة إيجاد حل سلمى، للأزمة فى الشاشان، لأن فى استمرارها تأثيراً سلبياً على منظمة الأمن، والتعاون الأوربى[١].

وهل عمل كلينتون بما طالب به مجلس النواب والشيوخ في إلزام روسيا بالتوقف عن التدخل العسكرى فى الشاشان؟!.

إنه لم يعمل به، ولم يتخذ خطوة إيجابية، بل سارت المساعدات إلى روسياأكثر مما كانت تطلبه، وكأنهم يكافؤها على أعمالها الإجرامية ضد المسلمين.

وقد وقفت «بريطانيا» موقفاً مماثلاً، من موقف الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان موقفها سلبياً، تجاه المجازر، وحمامات الدم، التى تقيمها روسيا فى الشاشان، وأعطت للقضية ظهرها، واعتبرت ذلك (مسألة داخلية) تهم روسيا نفسها.

وعبرت الصحف البريطانية عن موقف بريطانيا السلبى، وبررت الغزو بأنه لازم، لإعادة الفرع إلى الأصل. فقد جاء فى افتتاح صحيفة (التايمز) مقالاً، بعنوان: «يلتسين يستحق دعماً، أكبر ضد الشاشان» جاء فيه: تحريضا على ضرورة استخدام القوة ضد مدنى الشاشان.

كما أشارت إلى أنه ليس لمسلمى الشاشان حق قانونى، أوأخلاقى فى الاستقلال[٢].

---

(١) مجلة المجتمع ص ٣١ عدد رقم (١١٣٤٠) ١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧/ ١/ ١٩٩٥م.

(٢) من تقرير أرسله الأستاذ هشام العوضى، مُراسل مجلة المجتمع الكويتية، بلندن ص ٣٣ عدد رقم (١١٣٢) ٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٣ يناير سنة ١٩٩٥م.

أما مسلمى لندن، فكان لهم رأى مختلف عن رأى الدولة السابق، فقد أعربوا عن أسفهم لما يحدث لاخوانهم فى الشاشان، من تقتيل، وتدمير، وإبادة لهم، وللمدن والقرى.

وقاموا بإرسال رسائل إلى رئيس وزراء بريطانيا، ووزير الخارجية البريطانى، نددوا فيها بفظائع الغزو الغاشم، وأعربوا عن مشاعر الأسى والحزن العميقين، لموقف بريطانيا السلبى من قضية الشاشان.

وطالبوا الحكومة البريطانية، تقديم كافة وسائل الدعم للشعب الشاشانى، فى تحقيق حقه فى تقرير مصيره، واختيار سلطته[1].

وأما موقف «ألمانيا»:

فقد ساءها ذلك الغزو، وجاء ذلك صريحا، بما أصدره المسؤولون من تصريحات. فقد وصف رئيس وزرائها: (هيلموت كول): عملية التدخل العسكرى الروسى فى الشاشان بالجنون.

ودعا وزير الدفاع الحالى (فولكر ردهه): روسيا إلى الالتزام بتعهداتها الدولية، التى وقعتها. وأشار أن مايحدث حالياً فى الشاشان، يعتبر إخلالاً بمعاهدة فيينا[2].

وطالبت «الدنمارك» على لسان وزير خارجيتها (نيلس هلفينج): نداءها إلى السلطات الروسية، لحل مشكلة الشاشان بالطرق

(١) المرجع السابق.
(٢) المجتمع ص ٣١ (١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧/ ١/ ١٩٩٥م).

السلمية[١].

كما حذرت الدانمارك روسيا من استمرار التدخل العسكرى فى الشاشان، لأن ذلك يؤدى إلى قطع المساعدات الإقتصادية عنها، وعرقلة دخولها لعضوية المجلس الأوربى[٢].

وهل تحقق التحذير، والتزمت به الدانمرك، أم أنه ذر التراب فى العيون؟ وحصلت روسيا على المساعدات، التى تحتاجها، واستمرت فى بغيها وعدوانها على شعب الشاشان المسلم.

ومن الدول التى انتقدت الغزو الروسى للشاشان: (استونيا، ولاتفيا، ولتوانيا، وفنلدا، وهولندا، والنمسا)، التى أعلنت تضامنها لشعب الشاشان المسلم[٣]. وقد نوه الرئيس الشاشانى (جوهر دوداييف) بذلك قائلاً: «إننا وجدنا تأييداً قوياً من برلمان: استونيا، ولاتفيا، ولتوانيا، وفنلدا، وهولندا والنمسا»[٤].

ونكتفى بما أودناه من مواقف بعض الدول الأوربية، تجاه الغزو الروسى لجمهورية الشاشان المسلمة، ووضح منه، أن الغرب وقف بكل ثقله ومنظماته الدولية، يساند روسيا فى عدوانها، ويوافق على الأعمال الوحشية، التى ترتكبها مع مسلمى الشان.

وتذكر جريدة «الحياة» أن هناك منظمات عالمية عديدة، من بينها منظمة الأمن والتعاون فى أوربا، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، قد اعترضت بشدة على انتهاك الروس. لحقوق الإنسان فى

---

(١) المجتمع ص ٣٢ (٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٣/ ١/ ١٩٩٥م).
(٢) المرجع السابق ص ٣١ (١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ).
(٣) المرجع السابق ص ٣٢ (٢ شعبان سنة ١٤١٥هـ).
(٤) المرجع السابق ص ٣٢ (٣ رجب سنة ١٤١٥هـ).

الشاشان[١].

وماذا أفاد هذا الاعتراض؟!، وماذا حقق؟! إنها عملية تمويه، يقوم بها الغرب، عن طريق منظماته، ليعطى للروس الفرصة فى تحقيق مطامعه.

ولا أرى خير تعليق على حملة استنكار الغرب هذه، ماذكرته مجلة المجتمع: «بأن يُمارسون نوعاً من النفاق، والدجل السياسى المعلن، ليس له مثيل فى التاريخ.

فهذا التأييد الواضح لحرب الإبادة، التى يقوم بها الروس للمسلمين، يشبه فى صورته، وشكله نفس التأييد، الذى لقيه، ولازال يلقاه الصرب، فى إبادتهم للمسلمين فى البوسنة والهرسك.

وكأنما هى حلقات من مسلسل واحد، يتم عرضه، الواحدة تلو الأخرى فى حروب إبادة، مرتبة، وواضحة للمسلمين، فى أطراف الدنيا، تحت مسميات، وصور مختلفة، فيما يستمر الغرب المنافق فى ممارسة سياسته الخرفاء، تجاه قضايا المسلمين ومآسيهم. فى الوقت الذى يتشدق فيه زوراً وبهتاناً للحرية، وحقوق الإنسان، وحق تقرير المصير»[٢].

---

(١) جريدة الحياة عدد رقم (٥٩٦١) السبت ٢٥/ ٣/ ١٩٩٥م.
(٢) المجتمع ص ٤ عدد رقم (١١٣٤) ١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ يناير سنة ١٩٩٥م.

خاتمة

ظلت الشاشان، ولاية إسلامية، تنعم بحكم الإسلام العادل، منذ أن فتحت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣ - ٢٣هـ/ ٦٣٤ - ٦٤٤م).

وعمل المسلمون على النهوض بمرافق الحياة، حتى انتعش اقتصادها، وعم الخير، وعاش الشاشانيون عيشة راضية.

وازدهرت الحياة العلمية والفكرية، ونبغ كثير من أبناء البلاد، وطار ذكرهم شرقاً وغرباً، وتركوا لنا مؤلفات قيمة، فى فروع كثيرة من فروع العلم والمعرفة، استفاد منها المسلمون، فائدة عظيمة، ليس أبناء الشاشان فحسب، بل جميع المسلمين فى الدولة الإسلامية.

واستمر الشاشانيون، يعيشون فى كنف الإسلام، ورعايته، فى أمن وأمان، وحرية واطمئنان، حتى جاء الغزو الروسى واحتلال بلادهم فى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، ونهب ثرواتهم وخيراتهم، وحكمهم حكماً قاسياً، لارحمة فيه، ولاهوادة، واستخدم أساليب القمع والقهر للقضاء على الإسلام ومسلمى البلاد، ومحو هويتهم، وعمل بكافة السبل، وشتى الحيل، لتنصيرهم، أو إبادتهم، فدمر المساجد، والمدارس، وألغى مناهج الدين الإسلامى واللغة العربية، وأحلّ محلها اللغة الروسية، وأنشأ مؤسسات للإلحاد فى

البلاد . .

كما قعد لعلماء المسلمين كل مرصد، وألصق بهم التهم جُزافاً، وزوراً وبهتاناً، وقتل بعضهم، وأودع البعض الآخر غياهب السجون . . .

وفى وسط هذ الجو المشحون بالظلم، وكثرة إراقة الدماء، لم يستسلم الشاشانيون، ويرضخوا للأمر الواقع، بل قاموا بثورات ناجحة، وحركات مناهضة للمحتل الروسى، وكانوا أشد قسوة وصلابة فى الدفاع عن دينهم وأرضهم، ولم تؤثر فيهم شدة البطش، والطغيان الروسى . ولم تفتر عزائمهم على مر التاريخ .

فقد ملك الدين الإسلامى عليهم كل حياتهم، ووقر فى قلوبهم، فتمسكوا به، وضحوا فى سبيله بكل نفيس وغال . وانقادوا تحت قيادة علمائهم، يقاومون المعتدى الروسى بكل شجاعة وقوة، يسددون له الضربات القاسية .

وضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء، والبطولة، وأنزلوا بالروس خسائر فادحة، وبهروا العالم بخططهم وشجاعتهم .

وبقى الحال على ذلك، حتى انحل الاتحاد السوفيتى، فسارعت بعض الدول لتعلن استقلالها عنه، وكانت الشاشان من بين تلك الدول، فأعلنت انفصالها واستقلاله عنه فى سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م . واختارت أحد أبنائها البررة، ليقود الدولة فى نهضتها المعاصرة .

فعملت روسيا على عرقلة هذه الدولة، واجهاض استقلالها، وضمها إليها، عن طريق تشكيل حكومة عميلة فى البلاد، أعطتها

السلاح والمال. ولما فشلت هذه الحكومة العميلة فى تحقيق مساعى روسيا بالطرق السلمية، جاءت روسيا بكل قوتها وجحافلها ودخلت البلاد، ودمرت المدن والقرى، وأهلكت الحرث والنسل، وآلاف الأبرياء، وتشريدهم.

ومازالت تمارس سياستها العدوانية فى بلاد الشاشان فى محاولة لإبادة الشعب المسلم، الذى يُقاوم الغزو، ويسدد لها الضربات، ويتمسك بدينه وأرضه.

والآن مع السؤال الذى يطرح نفسه: ماذا يجب على المسلمين عمله تجاه إخوانهم مسلمى الشاشان؟.

الواجب على المسلمين تجاه اخوانهم فى جمهورية الشاشان مايلى:

١ - مساعدة الشعب الشاشانى:

يجب على كل دول العالم الإسلامى، الوقوف بجوار مسلمى الشاشان، ومساعدتهم، مادياً ومعنوياً، وإمدادهم بالمجاهدين، والأسلحة، والمؤن، والذخائر، وخبراء الحرب، حتى يتمكنوا من تحرير بلادهم، وطرد المحتل الروسى.

٢ - سرعة الاعتراف باستقلال الشاشان:

على دول العالم الإسلامى سرعة الاعتراف باستقلال جمهورية الشاشان الإسلامية، وأنها دولة ذات سيادة على أرضها، ولها الحق فى اختيار النظام الذى تراه مناسباً لحياتها وشعبها.

فيذكر الرئيس (جوهر دوداييف): أنه للآن لم يعترف بدولة الشاشان، غير المملكة العربية السعودية. ويلتمس سعادته العذر للدول التى لم تسارع باعترافها بالاستقلال، فيقول: «إن موضوع الاعتراف باستقلالنا من قبل الدول الإسلامية، مازال غير مطروح لديها، وهذا يدل على تفكك العالم الإسلامى. ونحن نعلم مدى الحرج الشديد، الذى تقع فيه الدول العربية والإسلامية بشأننا»[1].

ويوضح سعادته أن الاستقلال لا يهمه اعتراف الدول من عدمه، ولكنه يؤخذ بالقوة، فدولة «جورجيا» اعترف باستقلالها (٢٩) دولة فى العالم، منها (٣) دول أعضاء فى مجلس الأمن الدولى. ومع ذلك لم يُغن عنها هذا الاعتراف، فقامت روسيا باحتلالها. وهذه الدول نفسها هى التى اعترفت بالسلطة الجديدة[2].

٣- أن تجد الدول المجاورة للشاشان فى مساعدتها:

على الدول المجاورة للشاشان، والتى تشترك معها فى الحدود، أن تجد فى مساعدتها، وأن تقف بجوارها. فإن العدو متى انتهى من احتلالها، سوف يتوجه إليها، الواحدة تلو الأخرى. وليعرف الجميع أن الغرض من الغزو الروسى، محو هوية المسلمين، والقضاء على الإسلام، فى المقام الأول. ونهب ثروات وخيرات المسلمين فى المقام الثانى.

---

(١) تصريح أدلى به سعادته إلى مجلة «المجتمع» الكويتية ص ٣٢ عدد رقم (١١٢٨) ٣ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٦ ديسمبر سنة ١٩٩٤م.
(٢) المرجع السابق.

ولهذه الدول نقدم شكرنا وتقديرنا على موقفها الرائع المشرف من الغزو، فقد وقفت إلى جوار شقيقتها الشاشان ومدتها بالمجاهدين، والأسلحة والمؤن، واستقبلت المهاجرين الشاشانيين إليهم.

وقد أشاد الرئيس الشاشانى (دوداييف) بدورهم وفضلهم. غير أننا نريد منهم مضاعفة المساعدة والجهد، حتى يزول خطر العدوان الروسى البغيض عن الشاشان، وعن المنطقة كلها.

ووضَّح أحد الباحثين الشاشانيين، دور الدول المجاورة لدولة الشاشان، فى صمودها، وإنزال الخسائر الجسيمة بالعدو الروسى، حيث تتلقى من هذه الدول المساعدات، بالإضافة إلى اشتراك مقاتلين منهم فى صفوف المجاهدين الشاشانيين.

كما بين الفرق بين ماهو دائر فى البوسنة والهرسك، وبين مايدور فى الشاشان. ففى البوسنة والهرسك يقوم الصرب باعتدائهم على المسلمين بمساعدة روسيا، وكذلك الدول المجاورة للدولة، فالكل فى أوربا يتآمرون على مسلمى البوسنة والهرسك.

أما فى الشاشان فالوضع مختلف، كل الدول المجاورة تقف بجوار مسلمى الشاشان ضد الروس[١].

ولذا فالصرب والروس وجهان لعملة واحدة، فالصرب سلاف روس، تمدهم روسيا بالمال والسلاح وكافة مايريدون.

---

(١) د. أحمد موسى عادل الشاشانى: «الصرب والروس وجهان لعملة عرقية واحدة» - مقال بجريدة «المسلمون» اللندنية ص ٣ عدد رقم (٥١٦) ٢١ رجب سنة ١٤١٥هـ/ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٩٤م. ويعمل سعادته الآن استاذا بكلية التربية جامعة الملك سعود بالرياض.

٤ - الموقف الإيجابي :

على الدول الإسلامية أن تتخذ موقفاً إيجابياً، وتخطو خطوة إلى الأمام، ولاتقف عند حد التأثر بالاعتداء، وإدانته. بل تمتنع عن كل تعاملاتها مع الدب الأحمر، إذ كيف تقام العلاقات والتعاملات فى مجالات كثيرة بينه وبين دول الإسلام، وهم يعلمون جيداً، أنه يقضى على الإسلام والمسلمين؟!.

فلو قطع المسلمون علاقاتهم مع المعتدى، ومع كل الدول التى تساند المعتدى، لتغير الموقف الدولى، والكل عمل للمسلمين ألف حساب، وصارت كلمتهم مسموعة.

ولاننسى دور المواد الغذائية، والعقاقير الطبية، وأثرهما فى مواصلة الجهاد ضد الطغاة، فقلة هذه المواد قد تؤثر على المجاهدين.

ولذا فعلى المسلمين المسارعة بإمدادهم بها، وبالأطباء فى كافة التخصصات، والدواء، لمعالجة المرضى، والجرحى، ومن أصابتهم رصاصات الغدر، فأحدثت بهم آلاماً، وسببت لهم جراحاً.

ولاسيما أن اخواننا فى الشاشان يُعانون من أزمة حادة فى المواد الغذائية والدوائية، بسبب الحصار، الذى فرضته روسيا ضدهم، لإرغامهم على العدول عن قرار الاستقلال[1].

---

(١) تصريح أدلى به سعادة الأستاذ تركى الحميدى - مدير مكتب لجنة الدعوة الإسلامية بوسط آسيا إلى مجلة المجتمع ص ٢٣٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ .

٥ - المشاركة في بناء دولة الشاشان :

على المسلمين، أن يمدوا اخوانهم الشاشانيين بكافة المساعدات حتى تتحرر بلادهم، وبعدها يشاركون فى بناء نهضة الدولة، فيمدوهم بالعلماء والمدرسين، ليدرسوا لهم الدين الإسلامى الصحيح، وينقوه من الشوائب، التى ألصقها به الروس، فى محاولة لتشويه صورة الدين الإسلامى أمام أبناء البلاد، لزعزعتهم فيه، ثم صرفهم عنه.

وأن نقيم لهم المدارس، التى تدرس علوم الدين والشريعة الإسلامية، باللغة العربية، لتعليم أبناء المسلمين، لغة القرآن الكريم، بعد أن قامت السلطات الروسية، بتحريم التدريس بها فى المدارس، والمعاهد العلمية منذ سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م[٢].

والجدير بالذكر أن لجنة الدعوة الإسلامية الكويتية، قامت بعدة مشاريع فى جمهورية الشاشان، من أبرزها: مدرسة ابتدائية، تعلم أبناء الشاشان، اللغة العربية، والعلوم الشرعية[١].

وكذلك على المسلمين إمدادهم بالكتب والمراجع الدينية. ولرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة دور عظيم فى ذلك، فقد تقوم بطبع ونشر الكتب، التى تعالج قضايا المسلمين، وتتحدث عن جوهر الدين الإسلامى، وترسلها إلى إخواننا المسلمين فى جميع أنحاء العالم. ومنها جمهورية الشاشان.

---

(١) بنغسن وكلكاجى: المسلمون المنسيون ص ١٣٠.
(٢) مجلة المجتمع ص ٦ عدد (١١٣٥) ٢٣ شعبان سنة ١٤١٥هـ/ ٢٤ يناير سنة ١٩٩٥م.

كما كان «لمجمع الملك فهد للمصحف الشريف» بالمملكة العربية السعودية، دوره الرائع فى امداد المسلمين فى كل مكان بنسخ من «القرآن الكريم»، لقراءة كلام الله سبحانه وتعالى، والائتمار بأوامره، والانتهاء بنواهيه، والتخلق بأخلاقه.

وعلى المسلمين أن يفتحوا مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم لأبناء الشاشان، لتلقى العلم فيها، ثم يعودون إلى بلادهم، فينشرونه هناك، ويكونون دعاة للإسلام بين أهلهم وذويهم وفى أوطانهم.

وطالعتنا صحيفة «اليوم» السعودية، بأن هناك بعثة شاشانية، تدرس العلوم بالأزهر الشريف بالقاهرة. ومن بين أعضائها: الشيخ «شامل سيف الدين»، الذى يدرس فى معهد البعوث الإسلامية بالأزهر. فيقول: «حصلت على منحة دراسية من الأزهر الشريف، والتحقت بمعهد البعوث الإسلامية سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. وفى هذه الأثناء تقدمت بطلب إلى سماحة الشيخ «جاد الحق على جاد الحق» شيخ الأزهر - للحصول على منح دراسية، لإخوان لنا فى الشاشان. وجزاه الله خيراً، فقد وافق على (١١ منحة)، وسعدت جداً بهذه الموافقة، وماكدت أنتهى من العام الدراسى، حتى هرعت إلى الشاشان فى أغسطس الماضى (١٩٩٤م) لاحضار اخوانى الشباب، الذين تشملهم المنح.

وفى العاصمة (غروزنى) اتفقنا على الرحيل، ولكن كيف يتم هذا، والشاشان لايدخلها ولايخرج منها أى طيران مدنى. وكان الأمل فى الخروج عن طريق روسيا، ولكن هذا الطريق صعب جدا فى ظروف التحرش العسكرى وقتها، فالروس لم يوافقوا أبداً على

خروجنا إلى الأزهر. والحل الوحيد أمامنا كان الخروج عن طريق أذربيجان، التى تبعد عن الشاشان (٦٠٠كم) طريق الصحراء. وكانت رحلة شاقة، حيث كان معنا النساء والأطفال. ثم دخلنا (باكو) ومنها سافرنا إلى دمشق، ومنها إلى مصر، وهناك استقبلنا وفد من إدارة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف».

ويضيف الشيخ شامل، الذى يتحدث اللغة العربية بطلاقة: (تعلمت العربية، والنحو والصرف، والقرآن الكريم، وتفسيره، على يد الشيخ محمد حاج المقلى، فى قريتى: «حلا ليلى» بناحية شانوى. وكان يدرس العلوم الإسلامية والعربية فى بيته سراً، بعيداً عن أعين الاستعمار الشيوعى».

ويتحدث عضو آخر من أعضاء هذه البعثة الشاشانية. ذلك هو الشيخ »محمد طاهر محمد زايد» بالصف الثالث الإعدادى بمعهد البعوث الإسلامية بالأزهر، الذى حضر مع زوجته وأربعة أطفال، من مدينة (شالى)، التى دمرها الروس الظالمين. فيقول: (كانت الشاشان قبل الاحتلال الروسى الشيوعى دولة إسلامية، تحتفظ بطابعها الإسلامى. وكانت المدارس الإسلامية منتشرة فى كل مكان، والعلماء يجوبون المدن والقرى، وكل مكان يصنفون الكتب، ويلقون المحاضرات، والخطب، والدروس. والمساجد كثيرة. وعندما جاءت الشيوعية حاولت قطع أى علاقة تربط الشعب الشاشانى بالإسلام، واتجهوا إلى إعدام العلماء، وهدم المساجد، وإغلاق المدارس الإسلامية، وتدريس الدين، واللغة العربية. بل والشاشانية، وهى اللغة القومية حتى أصبح وجود المصحف فى أى

منزل، أو مع أى مسلم جريمة، تستدعى الإعدام. حتى العبادات الإسلامية كانوا فى أشد الحرص لمنعها وتحريمها.

وأذكر أنه - فى العهود السابقة - كان المدرس يدخل الفصل فى شهر رمضان المبارك، ويأر الطالب المسلم بالوقوف، ويسأله: هل أنت صائم، ومن شدة الخوف، ينفى الطالب.

وزيادة فى الإهانة يقدم المدرس له قطعاً من الحلوى ليأكلها حتى يتأكد أن الطالب المسلم غير صائم. هذا نموذج من نماذج القهر الشيوعى فى الشاشان.

وفى هذه الفترة أصبحت منازل العلماء مدارس سرية، يفد إليها الشباب المسلم، ليتعلم العربية والشاشانية، وعلوم الدين، وحفظ القرآن الكريم.

وكذلك يتحدث الشيخ «عيسى المرازيف» - أحد أعضاء البعثة. والذى يتلقى العلم فى معهد الدراسات الخاصة بالأزهر، قائلاً: (بعد استقلال الشاشان عن الاتحاد السوفيتى القديم، وفى عهد الرئيس (جوهر دودابيف)، أخذت الحياة الإسلامية فى الازدهار، ووسط جو من الحرية، تم بناء المساجد. وخلال السنوات الثلاث الماضية بُنى (٣٠٠) مسجد. وأصبح فى كل قرية مدرسة إسلامية. وانتشر التعليم الإسلامى فى ربوع الشاشان.

ومن أفراد هذه البعثة أيضاً الشيخ حسن عثمان، الطالب بمعهد البحوث الإسلامية، الذى يقول متحدثاً عن فترة الجهاد الشاشانى ضد الروس (دائماً كان الإسلام المحرك الأول والأخير للشعب،

ضد أي مساس بحريته)[1].

وأدعو الله - تعالى - أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، وأن يوحد صفوفهم، ويجمع كلمتهم، وأن يهلك أعدائهم..

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد - وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. السيد محمد يونس

(١) جريدة «اليوم» ص ٧ العدد رقم (٧٩٦٦) الجمعة ١٧ ذو القعدة سنة ١٤١٥هـ/ ١٧ أبريل سنة ١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

١ -	تأملات في سورة الفاتحة ----------	**الدكتـور حسن بـاجـودة**
٢ -	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ----	**الأستـاذ أحمد محمـد جمال**
٣ -	الرسول في كتابات المستشرقين ------	**الأستـاذ نـذيـر حمدان**
٤ -	الاسلام الفاتح ----------- ----	**الـدكتـور حسين مـؤنس**
٥ -	وسائل مقاومة الغزو الفكري -------	**الدكتور حسان محمد مرزوق**
٦ -	السيرة النبويـة في القرآن ---------	**الدكتور عبد الصبور مرزوق**
٧ -	التخطيط للدعوة الاسلامية ---------	**الدكتـور محمد علي جـريشة**
٨ -	صناعة الكتابة وتطورها في العصـور الاسلامية	**الـدكتـور أحمد السيـد دراج**
٩ -	التوعية الشـاملة في الحج ---------	**الأستـاذ عبـد الله بـوقس**
-١٠	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره -------	**الدكتور عبـاس حسن محمد**
-١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم -------	**د. عبد الحميد محمد الهاشمي**
-١٢	السنة في مواجهة الأباطيل ----------	**الأستـاذ محمد طـاهـر حكيم**
-١٣	مولود على الفطرة ----------- ---	**الأستاذ حسين أحمد حسـون**
-١٤	دور المسجد في الاسلام ---------- -	**الأستـاذ محمـد علي مختـار**
-١٥	تاريخ القرآن الكريم ---------- ---	**الدكتور محمد سالم محيسن**
-١٦	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام -	**الأستاذ محمـد محمود فـرغلي**
-١٧	حقوق المرأة في الإسلام -----------	**د. محمـد الصـادق عفيفي**
-١٨	القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١] ---	**الأستـاذ أحمد محمـد جمال**
-١٩	القراءات أحكامها ومصادرها --------	**د.شعبـان محمـد اسماعيل**
-٢٠	المعاملات في الشريعة الاسلامية ------	**الدكتور عبـد الستار السعيد**
-٢١	الزكاة فلسفتها وأحكامها ----------	**الـدكتور علي محمـد العماري**
-٢٢	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم -	**الدكتـور أبو اليـزيد العجمي**
-٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا -----	**الأستاذ سيـد عبد المجيـد بكر**
-٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ---	**الدكتـور عدنـان محمد وزان**
-٢٥	الإسلام والحركات الهدامة ---------	**معـالي عبـد الحميـد حمودة**
-٢٦	تربية النشء في ظل الاسلام ---------	**الدكتور محمـد محمود عمارة**
-٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي -----	**د. محمـد شـوقي الفنجـري**
-٢٨	وحي الله ---------- ----------	**د. حسن ضيـاء الـدين عتر**
-٢٩	حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----	**حسن أحمد عبد الرحمن عـابدين**
-٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية -	**الأستـاذ محمد عمـر القصـار**

٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] --------- **الأستاذ أحمد محمد جمال**
٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج ------- **الدكتور السيد رزق الطويل**
٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي -------- **الأستاذ حامد عبد الواحد**
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط ---------- **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**
٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي ----- **الدكتور حسن الشرقاوي**
٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية ---------- **د. محمد الصادق عفيفي**
٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية - **اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ**
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ---- **الدكتور محمود محمد بابللي**
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث -- **الدكتور علي محمد نصر**
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين ------- **د. محمد رفعت العوضي**
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام ------- **د. عبد العليم عبد الرحمن خضر**
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ---------- **الأستاذ سيد عبد المجيد بكر**
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا ---------- **الأستاذ سيد عبد المجيد بكر**
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين --------- **الأستاذ سيد عبد المجيد بكر**
٤٥- الطريق إلى النصر ---------- ----- **الأستاذ محمد عبد الله فودة**
٤٦- الاسلام دعوة حق ----------- ----- **الدكتور السيد رزق الطويل**
٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية ----- **د. محمد عبد الله الشرقاوي**
٤٨- دحض مفتريات ----------- ------ **د. البدراوي عبد الوهاب زهران**
٤٩- المجاهدون في فطان ---------- ---- **الأستاذ محمد ضياء شهاب**
٥٠- معجزة خلق الانسان ----------- --- **د. نبيه عبد الرحمن عثمان**
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية -- **د. سيد عبد الحميد مرسي**
٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي - **الأستاذ أنور الجندي**
٥٣- الشورى سلوك والتزام ---------- -- **لدكتور محمود محمد بابلي**
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ------- **أسماء عمر فدعق**
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة ------------ **الدكتور أحمد محمد الخراط**
٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]-------- **الأستاذ أحمد محمد جمال**
٥٧- كيف تكون خطيبًا------------ ----- **الشيخ عبد الرحمن خلف**
٥٨- الزواج بغير المسلمين---------- ---- **الشيخ حسن خالد**
٥٩- نظرات في قصص القرآن----------- **محمد قطب عبد العال**
٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات **الدكتور السيد رزق الطويل**

٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث----------	**الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي**
٦٢-	المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان----	**د. محمد الصادق عفيفي**
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] ---	**الدكتور رفعت العوضي**
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد--	**الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة**
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١] ------------	**الشهيد أحمد سامي عبد الله**
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة--------	**الأستاذ عبد الغفور عطار**
٦٧-	العدل والتسامح الاسلامي---------	**الأستاذ أحمد المخزنجي**
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]--------	**الأستاذ أحمد محمد جمال**
٦٩-	الحريات والحقوق الاسلامية---------	**محمد رجاء حنفي عبد المتجلي**
٧٠-	الانسان الروح والعقل والنفس--------	**د. نبيه عبد الرحمن عثمان**
٧١-	كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية	**الدكتور شوقي بشير**
٧٢-	الاسلام وغزو الفضاء -----------	**الشيخ محمد سويد**
٧٣-	تأملات قرآنية------------------	**الدكتورة عصمة الدين كركر**
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم------------	**الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله**
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والاسلام---------	**الأستاذ سعد صادق محمد**
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام ---------	**الدكتور على محمد نصر**
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢] --------	**محمد قطب عبد العال**
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢] -----------	**الشهيد أحمد سامي عبد الله**
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا----------	**الأستاذ سراج محمد وزان**
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ ----	**الشيخ أبو الحسن الندوي**
٨١-	كيف بدأ الخلق----------------	**الأستاذ عيسى العرباوي**
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة-----------	**الأستاذ أحمد محمد جمال**
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين----------	**الأستاذ صالح محمد جمال**
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الاسلام-------	**محمد رجاء حنفي عبد المتجلي**
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام --	**د. ابراهيم حمدان علي**
٨٦-	الحقوق المتقابلة ----------------	**د. عبد الله محمد سعيد**
٨٧-	من حديث القرآن على الانسان--------	**د. على محمد حسن العماري**
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة---	**محمد الحسين أبو سم**
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الاسلام-------	**جمعان عايض الزهراني**
٩٠-	القضاء في الاسلام ------------	**سليمان محمد العيضي**

١٢١- الإسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥- الإسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل التصال الحديث	الأستاذ ابراهيم اسماعيل
١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥- منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦- في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩- سقوط الأيديولوجيات	الأستاذ أنور الجندي
١٤٠- الطفل في الإسلام	الأستاذ محمود الشرقاوي
١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣- الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤- أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥- الهجوم على الإسلام	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٤٦- الإسلام والنظام العالمي الجديد	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧- من جماليات التصوير في القرآن الكريم	محمد قطب عبد العال
١٤٨- الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	زيد بن محمد الرماني
١٤٩- الماسونية والمرأة	جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠- جوانب من عظمة الإسلام	اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي



طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة